

الفصل الرابع

مرحلة الطفولة المتأخرة

Late childhood

وتسمى هذه المرحلة أيضًا بمرحلة ما قبل المراهقة، أو مشارف المراهقة، حيث بانتهائها يغادر الفرد طفولته ويتم بلوغه، ويدخل فترة جديدة من حياته، تلك هي المراهقة .

ولكيلا يأخذنا الكلام في سرد عموميات عن مظاهر هذه الفترة وعن التطورات النمائية التي تحصل فيها؛ فقد ارتأينا أن نتعرض لكل جانب من جوانب النمو هذه بشيء من الإيجاز والتركيز، لتكتمل الصورة عن هذه الفترة ومظاهرها:

1- النمو الجسدي والفيولوجي : Physical Growth

تشير المظاهر النمائية الجسمية في هذه المرحلة إلى تباطؤ نسبي في معدلات النمو وسرعته، إلا أن الشائع هو أن الإناث يتفوقن على الذكور من حيث الوزن والطول، لكن النمو العضلي للذكور في هذه الفترة يكون متميزًا، مما يوفر دافعًا داخليًا لهم لكي ينشطوا وتزداد حركتهم وألعابهم العنيفة، بينما نجد أن الفتاة ترسب الطبقات الدهنية لديها تحت الجلد في بعض مناطق الجسم لتصبح هذه المناطق أكثر ليونة ومرونة، وقد تصبح أيضًا عاملاً مهمًا في اتزانها وهدوئها في هذه الفترة.

أما الأطراف العليا والسفلى فتستطيل بشكل منتظم ومتناسق ورشيق، ويصبح شكل الرأس شبيهًا برأس الراشد، وتغادر الأسنان اللبنية بالكامل فم الطفل، ويستكمل أسنانه الدائمة في كلا الفكين.

أما في الجانب الحسي فنجد أن حاسة البصر تتطور بشكل كبير خلال هذه المرحلة، ويتمكن الطفل من التمييز بين الأشياء القريبة أو البعيدة، وتحسن قدرته البصرية وهو يمارس بعض الأعمال أو الهوايات الدقيقة جدًا التي تحتاج إلى تركيز وبصر حاد.

وفي ذات الوقت يتحسن السمع لدى الطفل، وتتطور قدرته على التمييز بين مختلف الأصوات، ويتمكن من التركيز وإصاخة السمع على الأصوات البعيدة أو المنخفضة، وتتطور لديه قدرة التفريق بين الأفراد من خلال أصواتهم دون أن يراهم (في الهاتف مثلاً) أما حاستي الذوق والشم فإنهما تكونان مكتملتين منذ فترة مبكرة من حياة الطفل.

2- النمو الحركي: Motor Growth

يعد النمو الحركي السليم منفذاً مهماً لتصرف الطاقة الزائدة لدى الطفل، وفي التخفيف من توتراته وانفعالاته، ومنحه الثقة بالنفس وبما يعزز روح الاستقلالية واحترام الذات لديه، فعندما يستطيع الطفل السيطرة على عضلاته - الكبيرة منها والصغيرة - فإنه سيقوم بتأدية بعض الانفعالات والمهارات بثقة وإتقان، فقدرته في السيطرة على العضلات الصغيرة سوف تمكنه من مهارة الكتابة والرسم والتلوين والتخطيط، وممارسة بعض الهوايات التي تتطلب التآزر البصري والعضلي معاً، أما قدرته في السيطرة على العضلات الكبيرة فهي تتيح أمامه ممارسة بعض المهارات الحركية Motor skills والألعاب الصعبة التي تحتاج إلى قوة وفن وبراعة مثل ممارسة لعبة الكرة، وركوب الدراجة، والسباحة، وألعاب التوازن والتأرجح والجري والتسلق والتدحرج، وغيرها من الألعاب التي تتطلب قدرًا من السيطرة والاستعداد والدقة والمرونة.

وعلى العموم فإن كل هذه النشاطات الحركية لا يمكن أن يؤديها الطفل إلا إذا امتلك الرغبة لممارستها أو الدافع لأدائها، وهذا بالطبع يتأتى من خلال تمتعه بالصحة الجيدة أولاً، ومن خلال نموه الاجتماعي السليم وقدرته على التوافق مع نفسه ومع الآخرين، وفضلاً عن ذلك فإن هناك حقيقة أساسية لا بد من ذكرها، وهي أن هناك فروقاً واضحة بين كلا الجنسين في النمو الحركي عائد إلى التركيب البيولوجي والتنشئة الاجتماعية لكل من الذكور والإناث، ففي الوقت الذي يمارس فيه الذكور مهارات حركية وألعاباً تتسم بالقوة البدنية والعضلية، نجد أن البنات يملن إلى الأنشطة التي تتصل بالرشاقة وبعض الحركات السويدية، واستخدام

العضلات الصغيرة للقيام ببعض الأعمال الدقيقة كالتطريز والخياطة وتنسيق الزهور والرسم وما شابه ذلك.

3- النمو العقلي: Mentalistic Growth

يبدأ الطفل في هذه المرحلة باستخدام إستراتيجية خاصة ينظم من خلالها العلاقات بين الأشياء والأفكار، وتنمو لديه البنى المعرفية، وتزداد ثباتًا وشمولًا وتنوعًا، وتتبلور الكثير من المفاهيم وتأخذ صورًا ومعانٍ وأبعادًا يضعها في مخيلته، ولعل أهم هذه المفاهيم هي المفاهيم المجردة التي تتعلق بالحياة والموت والقيم والحجوم والأوزان والكتل والزمن والمسافات والأعداد، والعلاقات السببية والزمانية والمكانية بين الأشياء وغير ذلك، ويصبح تفكير الطفل في هذه المرحلة تفكيرًا استنباطيًا، أي: إنه يستطيع أن يستنتج مفاهيم جديدة ومواقف جديدة من خلال المعطيات التي يتعامل معها، فضلًا عن قدرته على التصنيف في هذه المرحلة، بمعنى أنه يضع تقسيمات معينة ضمن وحدات خاصة يرسمها في ذاكرته، ويحاول أن يدرج تحت كل وحدة من هذه الوحدات ما يناسبها من متشابهات أو تصنيفات، لتسهل عليه عملية استعادتها واسترجاعها عند الحاجة.

والشيء المهم في النمو العقلي للطفل في هذه المرحلة هي قدرته على ربط العلة بالمعلول، فهو قادر على إدراك الكليات باعتبارها مجموعة مفاهيم مرتبطة فيما بينها، ومن ثم يستخرج من خلال هذه العلاقات الأسباب التي أدت إلى النتائج الملاحظة، وهذه المسألة مهمة جدًا؛ لأنها تيسر له عملية التكيف الاجتماعي داخل بيئته الاجتماعية، والدور الملائم له والذي يجب أن يمارسه، وعملية التكيف هذه من وجهة نظر بياجيه هي عملية ممارسة الفرد لذكائه، فالفرد لا يمكن أن يقوم بعملية الموائمة Accomodation والتكيف Adaptation مع البيئة والتناغم مع معطياتها وحل مشكلاتها إلا من خلال مستوى الذكاء الذي يمتلكه.

4- النمو اللغوي: Linguistics Growth

تعد اللغة أداة مهمة وضرورية لتحقيق الاتصال الاجتماعي بين الطفل

والآخرين، وفي هذه المرحلة تزداد الثروة اللغوية للطفل، ويتعرف على المترادفات ويتعلم أصداد الكلمات، ويفهم معنى الأفعال الدالة على فعل أو حركة، فضلاً عن قدرته على القراءة بمجهود فردي خاص دون الاستعانة بالآخرين، ويشارك في المناقشات والحوارات التي تجري بينه وبين أفراد أسرته، أو مع أقرانه داخل أو خارج المدرسة، ويستطيع أن يعبر عن نفسه و عما يدور في داخله من خواطر وأحاسيس وإن كانت بلغة بسيطة إلى حد ما؛ ويستخدم مع اللغة بعض التعبيرات الوجيهة، أي قيامه بالتمثيل وهو يتكلم في موضوع معين أو يعبر عما يجيش في داخله.

5- النمو الانفعالي: Emotional Growth

تعد هذه المرحلة مرحلة استقرار انفعالي لدى الأطفال؛ إذ إنهم يكتشفون أن التعبيرات الانفعالية الحادة غير مقبولة اجتماعياً فضلاً عن ميلهم لمغادرة مثل هذه الانفعالات إدراكاً منهم بأنها ما عادت تناسب أعمارهم، لهذا فقد يلجئون إلى أساليب أخرى يعبرون بها عن انفعالاتهم، كالصمت، والشاوية الهادئة بالآخرين، أو التمارض بقصد لفت النظر إليهم، كما يصبح الأطفال في هذه المرحلة أكثر هدوءاً وثقة بالنفس من المراحل السابقة، وتتغير المنبهات التي تثير انفعالاتهم، حيث تتلاشى بعض المنبهات السابقة التي كانت تثير مخاوفهم كالشرطي، واللصوص، والظلام، والأشباح، والقوى الطبيعية، فيما تظهر لديه منبهات جديدة ومن نوع جديد، كالاتحانات، والمستقبل وفقدان أحد الوالدين، أو عدم القدرة على إرضاء الوالدين، ويختلف أسلوب التعبير عن هذه الانفعالات بين الجنسين، ففي حين تلجأ الإناث إلى التعبير عن انفعالاتهن بالبكاء والانزواء، نجد أن الذكور يعبرون عن انفعالاتهم بالتجهم والعبوس ولوم الحظ وتقطيب الجبين.

وبشكل عام فإن أبرز وأهم الانفعالات التي يمكن ملاحظتها في هذه المرحلة هي الخوف الذي يشتمل على المخاوف المدرسية (الامتحانات، المعلمون، الرسوب، التعرض للتهديد والإهانة أمام الغير..) والغضب، والفضول، والعدوان.

6- النمو الاجتماعي : Sociological Growth

يتميز النمو الاجتماعي للطفل في هذه المرحلة برغبته في الانسحاب من عالم الطفولة والولوج في عالم الكبار، وهذا ينمي لديه الشعور بالاستقلالية والإحساس بالفردية، وبالذات المتفردة التي يتوجب عليها أن تتحمل المسؤولية التي تناط بها من قبل المجتمع، لهذا نجد أن الطفل في هذه المرحلة يحاول أن يلعب دوره الجنسي بالكامل، حيث يحاول الذكور التشبه بالرجال في سلوكهم وملابسهم وحركاتهم، والإناث يتشبهن بالنساء في الملابس وتصفيف الشعر، والحديث، وممارسة بعض الواجبات المنزلية.

ولكي يؤدي الطفل هذه الأدوار فإنه لا يمكن أن يقوم بها في فراغ، فهو بحاجة إلى رفاق في مثل سنّه، يفهمون تطلعاته ونوازه، ويختبر من خلالها شخصيته الجديدة، لهذا نجد أن الطفل في هذه المرحلة دائم التغيير لأصدقائه ورفاقه، فهو يشعر دائماً بأنه بحاجة إلى من يفهمه ويتقبل سلوكه، فتتحرر علاقاته في هذه المرحلة إلى حدّ ما.

أما الأسرة، فإن لها النصيب الأوفى في تشكيل شخصية الطفل الاجتماعية في هذه المرحلة، لاسيما الوالدان الذان يختاران أساليب وطرق تنشئة أطفالهما، وهناك من الأسر من تضمن بكل ذلك عليهم وتعدّه نوعاً من الإفساد لهم، فيما نجد بعض الآباء والأمهات يمتلكون طموحات عالية وغير واقعية، ويطالبون أطفالهم بتحقيقها، فيصابون بالفشل والإحباط، وهناك من الأسر من يشيع في أجوائها التعاون والعلاقات الديمقراطية، ويسود التفاهم والمودة بين أفرادها، فيما نجد أسراً أخرى تجد أن ذلك إسرأفاً وتديلاً وتضييعاً لحقوق الوالدين ولمكانتها على أن أخطر كل هذه الاتجاهات التي تسود بعض الأسر أسلوبان متناقضان بارزان ؛ هما: الأسلوب التسلطي الذي يسمح شخصية الأطفال تماماً ليترك شخصية الأب أو الأم فقط تتحكم في كل تفاصيل حياتهم دونما أي مجال للتفاهم أو المناقشة، وهذا النوع من التعامل غالباً ما ينتج أطفالاً خائعين تابعين، أو على الضد من ذلك أطفالاً مسيطرين ووقحين .

أما الأسلوب الثاني فهو أسلوب التدليل الزائد والحماية والمفرطة over-Protection للطفل بحيث لا تتاح أمامه أية فرصة لممارسة حياته كبقية الأطفال، فكل شيء جاهز ومتوفر له وهذا الأسلوب غالباً ما ينتج أطفالاً اتكاليين، ضعيفي الثقة بالنفس، لا يمتلكون الاستقلالية في اتخاذ قراراتهم، وقد يكون مصير الكثير منهم الجنوح والانخراط في مهاوي الجريمة عندما يفقدون السند العاطفي في الكبر، أو الانهيار النفسي وتفكك الشخصية وانحلالها.

وتبقى كلمة أخيرة في هذا المجال، وهي أن الأسرة هي البيئة الأولى التي تترعرع فيها بذور الشخصية، وتنمو فيما بعد لتقدم للمجتمع نمطاً سلوكياً مُشكلاً لا يمكن إعادة صياغته فيما بعد، فكلما كانت العلاقات الأسرية حميمة دافئة متماسكة تسودها الألفة والاحترام والتفاهم، يعرف فيها كل فرد دوره ويؤديه بروح من الاطمئنان والاندفاع المتزن، كلما كانت هذه الأسرة بيئة خصبة وثرية ومنتجةً لأفرادٍ متكيفين فاعلين ومنتجين، وكلما كان العكس كانت النتيجة كذلك.

7- النمو الخلقى : Moral Growth

قبل الكلام عن تطور النمو الخلقى لدى الأطفال في هذه المرحلة، لابد من الإشارة إلى أن السلوك الخلقى يعني ذلك السلوك المتطابق مع المفاهيم الخلقية السائدة في البيئة التي يعيش فيها الطفل، والتي تتعامل بها الجماعة في تلك البيئة، وهي بمعنى آخر كل القواعد الخلقية التي يمارسها أعضاء المجتمع ويرضون عنها، وعند مخالفة هذه القواعد أو خرقها يحل السلوك اللاخلقى ويسود المجتمع.

وينشأ السلوك الخلقى لدى الطفل في مرحلة مبكرة من عمره، فهو يتشرب القيم الخلقية ويتعلمها من أسرته (والديه والكبار المحيطين به) عن طريق التوحد والتقليد الذي يحصل بشكل غير مقصود للمثال أو النموذج الذي يحتذي به، كما أن الطفل يتعلم المعايير الخلقية والسلوك الخلقى المطلوب عن طريق التدريب والتعلم المباشر، وهذا يوجب أن تكون القواعد السلوكية التي يتعرض لها ثابتة ومنسجمة داخل البيئة، فما هو صحيح يبقى صحيحاً باستمرار، وما هو خاطئ يبقى كذلك، عندها ترسخ هذه القواعد وتأخذ استقراراً وثباتاً لديه.

ولأن المفاهيم الخلقية هي مفاهيم مجردة كالأمانة، والصدق، والمروءة، والإيثار، والتواضع.. لهذا فإن الطفل يمكن أن يتعلمها بعد الحادية عشرة من عمره عندما يتمكن من التفكير المجرد Abstract Thinking، بمعنى آخر: إن النمو الخلقى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو العقلي، فضلاً عن ارتباطه الوثيق أيضاً بالنمو الاجتماعي، فالطفل عندما تتحدد لديه ملامح شخصيته في بداية مراهقته، ويشعر أنه بدأ ينتقل من عالم الطفولة إلى عالم الكبار، فإن استعداداته للمصارحة والمواجهة وقول الحق يصبح أكثر قوة في هذه الفترة، لهذا فقد بينت بعض الدراسات أن أشد ما يؤلم نفوس الأطفال في هذا العمر هو (الظلم، الاستهزاء، الفظاظة، الضحك عند وقوع الأذى بالغير).

كما أن الأطفال في هذه المرحلة تكون أحكامهم صريحة وواضحة إزاء التضارب في القيم الخلقية لدى الكبار، ويكون البعض منهم على استعداد لمواجهة الكبار بهذا التناقض، وكلما ازداد نمو الأطفال، كلما انتقلت عملية الضبط السلوكي هذه من الخارج إلى الداخل، حيث يبدأ الطفل بمحاسبة نفسه عن الأخطاء التي يرتكبها، ويشعر بالندم ويملكه القلق والخوف عند ارتكابه أخطاء يشعر معها بالإثم، وتنتقل هذه المشاعر من مركزية الذات إلى الشعور بما يشعر به الغير، ويبدأ بمحاسبة نفسه كأنه يراها .

مشكلات مرحلة الطفولة المتأخرة:

فيما يأتي عرض لمشكلات هذه المرحلة:

- 1- الخوف.
- 2- الغضب.
- 3- السلوك العدواني.
- 4- الغش.
- 5- التأخر الدراسي.
- 6- الهروب من المدرسة.
- 7- الجنوح.

1 - الخوف Fear

الخوف: حالة انفعالية طبيعية تدفع الفرد في بعض المواقف؛ لأن يسلك سلوكًا يبتعد به عن مصدر الضرر، وينشأ هذا السلوك عن استعداد فطري أوجده الخالق العظيم في الإنسان والحيوان لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي، وعليه فإن الخوف يتصل بتكوين الإنسان، ويدفعه للمحافظة على النفس من كل مثير قد يسبب له ضررًا، وبهذا فإن الخوف المعقول والطبيعي مفيد للإنسان؛ إذ يساعده في اتخاذ الحيلة والحذر قبل أو عند وقوع مثير الخوف، أما انعدام الخوف لدى أي إنسان - صغيرًا كان أم كبيرًا - فهو أمرٌ غير عادي، وهو قلما يقع، وإن حدث فإن سببه واضح وهو قلة الإدراك، وسوء التقدير، كالطفل الذي يلاعب الثعبان دون أن يدرك خطره عليه.

لقد اتفق علماء النفس على حقيقة ثابتة هي أن مخاوف الطفولة تنمو مع الفرد وتصاحبه في حياته المستقبلية، فقد توصلت الدراسات النفسية التجريبية إلى جملة حقائق تخص المخاوف التي تزول والتي تبقى في مجال الفرد النفسي حيث وجد: " أن نسبة 40٪ من مخاوف الطفولة تبقى ملازمةً للراشدين، وأن 27٪ من هذه المخاوف في سن الرشد بقيت على الحدة والشدة، التي كانت عليها في سن الطفولة" (□).

وفي دراسة أخرى أجريت على المراهقين وجد " أن عددًا كبيرًا من مخاوف الطفولة بقي ملازمًا لهم، فقد أعطي المبحوثون الذين ناهز عددهم الثلاثمائة فرد في تلك الدراسة أوصافًا مكتوبة لما يزيد على الألف من المخاوف التي عُدَّت استرجاعًا لمخاوف الطفولة، وأشار المبحوثون إلى أن (349) صنفًا من المخاوف الألف يحل بهم بين آنٍ وآخر" (□).

(□) عفيفة البستاني (1971): محاضرات في علم النفس التكويني، بغداد، مكتبة النصر للطباعة ص53.

(□) ميخائيل إبراهيم أسعد ومالك سليمان مخول (1982): مشكلات الطفولة والمراهقة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص334.

وهذا يعني أن مخاوف الفرد تتكون أثناء طفولته نتيجة لتعامله مع بيئته وتأثره بالنمط الحضاري لهذه البيئة وما فيها من مفاهيم وعادات وأساطير ومواقف؛ وتميل الدراسات السيكولوجية الحديثة إلى الاعتقاد بأن الخوف لا يظهر عند الطفل قبل بلوغ الشهر السادس من عمره وحتى في هذا السن؛ فإنه لا يكون واضحًا ولا محدودًا، بل يحدث كاستجابة لبعض المثيرات المادية القوية كالأصوات العالية المفاجئة مثلاً، غير أنه عندما يتقدم به العمر ويتصل بيئته بشكل مباشر تتضح مخاوفه وتتحدد متأثرة بالطابع الحضاري للمجتمع والثقافة السائدة فيه، فالطفل الذي يعيش في محيط لا يخاف الحية مثلاً ينمو ويكبر وهو لا يخافها أما الطفلة التي تسمع صراخ أمها حين ترى فأراً فإنها سرعان ما تتشرب هذه الاستجابة من أمها لتصبح متخوفة من الفأر حتى عندما تكبر.

وقد يتصور البعض منا - نحن الكبار - أن مخاوف الطفولة ما هي إلا ضرب من الحمق والسخافة وقصور الإدراك وما إلى ذلك من كلمات الهزاء وعدم الاهتمام، وهذا بسبب عدم فهمنا لهذه التجارب التي يمر بها الطفل وتأثيراتها النفسية عليه فيما بعد، فنحن نرى أن بعض الآباء يسخرون ويثيرون ضحك أفراد العائلة على الطفل الخائف، ظناً منهم أن ذلك يزيل خوفه، لكنه في حقيقة الأمر إنما يجعل منه وسيلة للتسلية والضحك والتندر يقوم بها إخوانه أو أقرانه بتخويفه مما يخاف باستمرار، وبالتالي تعقيد مشكلة هذا الطفل، وخلق حالة من سوء العلاقة بينه وبين والديه وأفراد أسرته؛ أو قد يلجأ بعض الآباء إلى أسلوب غير واقعي حيث يأبون أن يشعر أطفالهم بالخوف، أو لا يشجعونه في الإفصاح عن مخاوفه حتى الطبيعية منها، وهم بذلك إنما يقمعون انفعالات الخوف لدى هذا الطفل، مما يزيد في خوفه ويعقد شخصيته، بسبب عجزهم عن فهم سيكولوجية الطفل ومشاعره ومخاوفه الطبيعية، ناسين أنهم مروا بنفس الانفعالات في طفولتهم.

مظاهر الخوف:

يظهر الطفل مخاوفه بأساليب متعددة تبعاً لعمره ودرجة وعيه وقدرته على الكلام ورغبته فيه، فالطفل قبل مرحلة الكلام قد يحاول الهروب من الحالات التي

تخيفه بأساليب خاصة كالبكاء أو الصراخ أو التمسك بأمه، وأحياناً يكون من الصعب جداً أن تتمكن من تحديد السبب المولد للخوف عنده، أما الطفل الأكبر فقد يتردد في تسمية ما يخاف منه، وقد يتحدث عنه بالتفصيل، وذلك بحسب تخيالاته وخوفه من أنه إذا تكلم عنه فسوف يتحقق فعلاً.

وبشكل عام يمكن القول: إن الخوف عند الطفل في سنوات عمره الأولى يظهر على أسارير وجهه، وقد يكون مصحوباً بالبكاء والصراخ، ثم يتطور فيما بعد إلى الصياح والهرب المصحوب برعشة وتغيرات في ملامح الوجه، وتقطع الكلام، وقد يصحبه في بعض الأحوال التعرق أو التبول والتبرز.

ويتطور الخوف بتقدم العمر، ليخرج عن كونه مجرد خوف صريح ليتخذ شكل إحساسات أخرى قد تبدو أنها لا تمت للخوف بصلة، ولكن الواقع أن أساسها الخوف مثل ضعف الثقة بالنفس، والخجل، والقلق، والوسوسة، وهذه الإحساسات في الواقع هي أخطر مضاعفات الخوف (□).

كما يرتبط بموضوع الخوف صفة أخرى كثيرة الشيع هي ضعف الروح الاستقلالية لدى الطفل، ويكون هذا دالاً في الغالب على فقدان الأمن أو وجود الخوف، ومن مظاهر هذا الضعف: «التردد، وانعقاد اللسان في التجمعات، والتتهته والجلجة والانكماش، وعدم القدرة على التفكير المستقل، وعدم الجرأة، وتوقع الشر، وشدة الحرص» (□).

أما الخاصية الأساسية لاستجابة الخوف فهي «الانكماش والانسحاب وغالباً ما يبلغان الذروة في استجابة هروبه، فخوف الشخص من عدم تقبل المجتمع له قد يجعله يتجنب الوظائف الاجتماعية ويصير منعزلاً ومنسحباً ومكتئباً» (□).

(□) عبد المنعم الزيايدي (1957): حياتك مع الأسرة. ط1، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر ص76.

(□) عبد العزيز القوسي (1981): أساس الصحة النفسية. ط9، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ص27.

(□) طلعت منصور وآخرون (1978): أسس علم النفس العام - القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ص53.

وإذا كانت هذه مظاهر الخوف وخصائصه، فإنه ولا شك يرتبط أيضًا بالكرهية، ولذا نجد أن الطفل يكره كل ما يتصل بمثيرات خوفه، فالذي يخاف زميلاً له أو معلمه يكره كل ما يتصل بهما حتى المدرسة نفسها.

أسباب الخوف:

الخوف حالة انفعالية تلازمنا من المهد إلى اللحد؛ فتعمل على البناء أو الهدم في تكوين ذواتنا وخصياتنا، وبالتالي فهو قد يشتت الطاقة العقلية المراد توجيهها نحو الأهداف النافعة، أو قد يدفع عنا القوى الهدامة المؤذية، أي: إنه يصبح حاجة ضرورية لتوفير الأمان للفرد ولإزالة ما قد يتهدد هذه الحاجة من مثيرات، غير أنه لا بد من القول هنا: إن بعض الأطفال بطبيعتهم ولأسباب كثيرة جسدية ونفسية أقرب إلى استشعار الخوف وأسرع من غيرهم في ذلك لاسيما إذا كانوا قد مروا بخبرات سببت لهم ألماً أو إصابة أو تولد لديهم إحساس عام بعدم الكفاءة، والقلق، وعدم الأمن.

وبشكل عام يمكن تلخيص أسباب ومثيرات الخوف فيما يأتي:

1- تأثر الطفل بمخاوف الآخرين من المحيطين به من الكبار والصغار، غير أن الخوف يكون أكثر شدة لديه عندما يرى الكبار يخافون، حيث يوحي له ذلك بأن هناك خطر داهم يحيط به، لا يستطيع الكبار دفعه أو تفاديه، مثال ذلك خوف الأم من الظلام أو الفأرة أو بعض الحيوانات الأليفة.

2- القصص المخيفة التي يحكيها الكبار للصغار عن الوحوش والحيوانات المفترسة، أو بعض الكائنات الوهمية ذات الأشكال المرعبة، أو بعض الأفلام المخيفة التي يراها الطفل في السينما أو التلفزيون، حيث تبقى أحداثها مرتسمة في مخيلته، وقد تظهر ثانية بشكل أحلام مفزعة عندما يخلد الطفل للنوم.

3- الحرص الشديد من قبل الوالدين على الطفل، وكثرة التهديدات والمحظورات التي توحى بالخطر المستمر الذي يهدد الطفل، بحيث يتولد عن ذلك سيطرة مشاعر الخوف عليه، ومن ثم فقدانه الشعور بالأمن، وتوقع الخطر، والشك

والتردد، وعدم الإقدام ومجابهة المواقف الجديدة، مما يؤثر حتى على قدراته العقلية وكفاءته الإنتاجية حالياً ومستقبلاً، ومن تلك التحذيرات والتهديدات التي يطلقها بعض الآباء والأمهات لأطفالهم: (إذا لم تهدأ وتوقف حركتك سنستدعي لك الشرطة، أو سنتركك ونخرج بعد أن نقفل الباب عليك أو سوف يأتيك الحرامي أو أبو سبع عيون .. إلخ).

4- غياب الأم المتكرر عن المنزل، وتركها للطفل فترات طويلة، فيتولد لديه شعور بفقدان الأمن والسند، وبالتالي فقدان القدرة على التفكير المستقل والجرأة على التصرف، فيتوقع الشر وتزداد مخاوفه.

5- التغيير العنيف المفاجئ الذي يتسبب عنه صوت عال أو سقوط مفاجئ أو أجراس الإنذار أو الحريق أو الإطلاقات النارية، كلها أصوات تخيف الطفل إذا لم تكن له بها معرفة أو قد سمعها من قبل.

6- وتلعب العلاقات العائلية السلبية دورًا كبيرًا في ترسيخ المخاوف لدى الأطفال، كالشقاق، والمشاجرة بين الأم والأب، والسلطة الأبوية الجائرة على الأبناء، والتفكك الأسري، حيث إن كل ذلك يثير القلق في نفوس الأبناء ويزيد من مخاوفهم.

دور التعلم في تكوين مخاوف الطفولة :

تحدد درجة الخوف وطريقته في التعبير على ظروف الطفل وقت حدوث انفعال الخوف سواء كانت فسيولوجية أو نفسية ، فإذا كان الطفل متعبًا أو مضطربًا انفعاليًا أو وحيدًا بين غرباء.. كانت استجابته لمنبهات الخوف قوية جدًا مما قد يؤثر على صحته النفسية، أما إذا كان آمنًا لقربه من أمه أو مع من يطمئن إليه فإن استجابته لمتغيرات الخوف تكون أقل حدّة، وهذا يعني أن الخوف لا يتوقف على مثيراته الخارجية فقط، بل يتوقف أيضًا على ظروف الطفل الداخلية وحالته النفسية والفسولوجية أثناء حدوث الانفعال، وعمومًا يمكن إجمال المواقف التي تؤدي إلى تعلم الطفل للمخاوف بما يأتي:

1- للتقليد والإيحاء دور كبير في تكوين مخاوف الأطفال؛ كأن تُقلد الطفلة أمها التي تخاف من أبو بريس أو الفأرة، أو يقلد الطفل أخاه الذي يخاف من الكلب أو القط أو صوت الرعد.

2- إن بعض الآباء يزرعون الخوف في نفوس أبنائهم بدافع الحرص عليهم، أو لدفعهم للكف عن القيام بسلوك معين لا يرتضونه، مثال ذلك منع الطفل من الصعود إلى الأماكن العالية، أو تخويله بالشرطي أو الحرامي وما شاكل ذلك.

3- إن بعض المخاوف يتعلمها الطفل عن طريق الاقتران الشرطي، فقد يحدث أن يقترن أحد مثيرات الخوف مثل حركة الشجرة أو ظلها في الحديقة مع بعض الأصوات التي تحدثها أيدي أحد أفراد العائلة على باب الغرفة بقصد تخويله.

4- وتلعب الأحداث والتجارب القاسية والمؤلمة التي سبق للطفل أن مرّ بها دورًا كبيرًا في تكوين مخاوفه، مثل ذلك خوفه من الممرضة؛ لأنها أعطته في يوم ما حقنة عندما كان مريضًا.

5- وقد يخاف الطفل من أشياء لا يدركها إدراكًا حسيًا كاملاً مع جهله بها وبطبيعتها، مثال ذلك خوفه من الغول والعفريت والسحالي بعد أن أوحى له الكبار أن هذه الكائنات مخيفة ومرعبة، لهذا فإنهم يستغلون فيه ضعفه وخوفه منها؛ ليرغموه على القيام بأعمال يرغبون في قيامه بها.

المخاوف الطبيعية والمخاوف الشاذة:

الخوف انفعال مهم وضروري للإنسان، لاسيما إذا التزم الحدود السوية، حيث يصبح انفعالاً بنائياً مفيداً للنفس والسلوك بما يجعل شخصية الفرد مقبولة اجتماعياً، وفي ذات الوقت هادئة مطمئنة، أما إذا زادت حدته ودرجة استثارته أصبح مشكلة نفسية تحتاج إلى وقفة وإلى علاج.

وقبل الاستطراد في هذا الموضوع لابد من التنويه إلى أن (فرويد) يرى أن الخوف أو القلق هما أساس جميع الحالات العصبية، وسواءً أخذنا بهذا الرأي أو لم نأخذ به فإننا لابد أن نقر بحقيقة الخوف، هذا الانفعال الذي يرافقه كل إنسان في

حياته، ونعلم أنه أمر طبيعي للكائن الحي - سواء في ذلك الإنسان أو الحيوان - أن يخاف في بعض المواقف التي تهدده بالخطر، فالفرد السوي إذا ما واجهته سيارة مسرعة في الطريق فلا بد أن يشعر بالخوف، وإذا ما شهر أحدهم بوجهه مسدسًا مملوءًا بالرصاص فلا بد أن يشعر بمثل هذا الشعور، وهذا الخوف حالة انفعالية داخلية طبيعية، يشعر بها الإنسان في بعض المواقف، ويسلك فيها سلوكًا يبعده عن مصادر الضرر، ومنشأ هذا كله هو الاستعداد الفطري الذي أوجده الخالق العظيم في الإنسان والحيوان؛ ومن الطبيعي أن تقترن هذه الحالة الشعورية الانفعالية بالسلوك الملائم وهو التخلص من الخطر.

أما تضخم الخوف في موقف ما تضخمًا خارجيًا عن النسبة المعقولة التي يتطلبها الموقف عادة، فإن هذا يعتبر أمرًا شاذًا، فالطفل الذي يخاف الققط أو الظلام قليلًا فإن هذا أمرٌ عادي، ولكنه إذا خاف ذلك لدرجة الفزع، ووصل في انفعاله لدرجة ينقلب فيها اتزانة النفسي، فلا شك أن ذلك أمر غير عادي، ويعدُّ خارجًا عن الحد المعقول، ويقسم فرويد المخاوف إلى قسمين هما:

1- المخاوف الموضوعية أو الحقيقة: وفيها يرتبط الخوف بموضوع معين محدد؛ كالخوف من الحيوانات أو الظلام أو النار أو الثعابين وغيرها.

2- المخاوف العامة أو غير المحددة: وفيها لا يرتبط الخوف بأي موضوع، فحالة الخوف تكون كأنها هائمة أو عائمة لا تستقر على موضوع محدد، وصاحب هذه الحالة متشائم حزين، يتوقع الشر وسوء الطالع في أية لحظة وفي أي شيء، ويسمي فرويد هذه الحالة بالقلق العصبي Neurosis Anxiety وعادة ما يرجع هذا الخوف إلى الصدفة المحضة، كالخوف من السفر في قطار، أو عدم الدخول في زحام خشية انتقال المرض، أو الخوف من رؤية الدم.

ويقسم آخرون المخاوف حسب واقعيته ومثيراتها إلى قسمين أيضًا هما: المخاوف الحسية أو الواقعية، والمخاوف الوهمية أو الذاتية أو غير الحسية؛ ومن الناحية العملية والتربوية فإن هذا التقسيم يمكن أن يفيد في تصنيف مخاوف

الأطفال بحسب موضوعاتها إلى حسية وغير حسية ، فموضوعات الأولى يمكن للطفل إدراكها بحواسه المختلفة، كالخوف من بعض الحيوانات، أما النوع الثاني فهو الخوف غير الحسي كالخوف من الموت أو الشياطين والجن والأشباح.

العوامل التي تساعد على تكوين مخاوف الأطفال في المدرسة :

تعد الأيام الأولى للالتحاق بالمدرسة مثيرة للمخاوف، خصوصاً للطفل الخجول أو الذي يعتمد على أهله اعتماداً كبيراً، ومما يسهم في تعزيز هذه المخاوف هو غرابة الجو المدرسي بالنسبة له بدءاً من الوجوه الجديدة من الأطفال الذين يراهم لأول مرة، ومروراً بقاعة الدرس، ونظام المدرسة والمعلم... فضلاً عن بعده عن البيت وعن والديه ومن يأنس إليهم ويجد في وجودهم طمأنينته وأمنه، وتزداد هذه المخاوف سوءاً إذا اقترنت ببعض المواقف غير السارة من قبل التلاميذ أو المعلمين، مثل حالات النبذ أو الإهانة أو الاعتداء والمضايقة والتهكم، ويزداد الأمر تفاقماً إذا ما استمرت هذه المواقف مع الطفل بمرور الأيام فتزداد مخاوفه، وقد يكون لصعوبة التكيف مع الأطفال الآخرين دور كبير في خوفه من المدرسة، لاسيما عندما يفشل في محاولاته لكي يقبل بين أفراد هذه الفئة من الأطفال أو تلك مما يضطره إلى الانسحاب والانعزالية، ومن ثم إحساسه بالخيبة والإحباط الذي يتولد عنه الخوف من أنه مرفوض ومنبوذ من قبل الآخرين، وأن عليه أن ينسحب من الجو الدراسي الذي يفرض عليه مثل هذه الخيبة المريرة.

ويلعب المعلم دوراً واضحاً ومسئولاً في عدم تكيف الطفل داخل المدرسة؛ لأنه يقضي وقتاً غير قصير مع تلاميذه، يستطيع من خلاله أن يميز بين الأطفال، ويبحث عن أسباب عدم تكيفهم سواءً مع أنفسهم أو مع المحيطين بهم، وهذه المهمة ليست سهلة، ولا يمكن أن يقوم بها إلا المعلم النابه الذي يجب مهنته ويعرف مراحل النمو، ومميزات كل مرحلة، وقيّم سلوك تلاميذه وفقاً لهذا الفهم.

وتعد أيضاً مشكلة توافق الطفل مع النظام المدرسي من المشكلات المهمة التي تسهم في تكوين المخاوف المدرسية لديه، فالنظام الشديد والأساليب القسرية غير

المرنة هي بالنسبة للطفل أساليب مؤذية وغير سارة، تختلف - وقد تتناقض - مع الحرية التي يتمتع بها خارج المدرسة وفي البيت بشكل خاص، مما يتولد عنه كرهًا للمدرسة ولنظامها، ومن ثم الخوف من التعامل معها ومع نظامها.

وإلى جانب ذلك فإن الامتحانات المدرسية أيضًا تسهم إسهامًا فعليًا في خلق المخاوف لدى الأطفال، فالامتحان المرتبط بأشكال قاسية من العقاب يمكن أن يكون مبعث خوف للتلميذ وخاصة عندما يكون غير مستعدًا استعدادًا تامًا، وحين تكون حساسيته الانفعالية شديدة.

فوائد الخوف:

يبلغ الخوف ذروته في أوقات التعلم السريع - تعلم الطفل أمورًا حول نفسه وحول البيئة التي يعيش فيها - ومثل هذا التعلم السريع لا بد له من ثمن، فالمتطلبات التي تفرض على الطفل من جراء إدراكه لنواح جديدة من العالم الذي يعيش فيه توجد نوعًا من الخلل في التوازن يجعل الطفل - ولو بشكل مؤقت - مفرطًا في الحساسية تجاه الأشياء والأحداث التي تمر في حياته، وهذه الزيادة في الحساسية تجد تعبيرًا لها في الخوف أو في طريقة التعبير عنه، فالطفل الذي يشعر بالخوف يمكن أن يعبر عنه بطلب المساعدة ممن حوله على اكتشاف حدود الموقف الجديد، وكذلك حدود مقدرته الخاصة على معالجة ذلك الموقف؛ فخوف الطفل يقوّي إدراكه لما حوله، ويجعله يقظًا لما يعترض حياته من أخطار، كما يساعده في تكوين الطاقة الضرورية لمواجهة المواقف الخطيرة ويجعله على أهبة الاستعداد لاجتناب الخطر؛ إما بالهرب والاختفاء، أو بالصراخ طلبًا للنجدة، مما يهيئ له أحد الضمانات لدرء الأذى عنه.

ويرى هادفيلد أن الحاجة إلى مواجهة الخطر تجعلنا شجعانًا، كما تساعد على ضبط النفس ومنعها من التهور، فالخوف يلعب دورًا لا بأس به في تكوين بعض صفاتنا الأخلاقية، وإليه ترجع الدوافع الأولى للحياة الاجتماعية؛ فلولا خوف الإنسان الأول من الأخطار لما تجمّع في جماعات وعشائر وقبائل، وكان لهذا التجمع

الأثر الكبير في بناء الحياة الاجتماعية الراقية وما لها من دساتير وأعراف وعادات وتقاليد، ولكي يتمتع الفرد بحماية الجماعة وحبها كان عليه أن يراعي مصالح غيره، وأن يكون على علاقات حسنة مع من حوله، وأن يكيف نفسه ليعيش بينهم حتى يكون سعيداً، ومعنى ذلك أن الخوف في الواقع هو أحد العوامل الرئيسية في الحياة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية^(□)، فالخوف - في ظل هذه الظروف - يعد من أبرز القوى التي تعمل على بناء الشخصية وتكوينها ونموها، لاسيما إذا سيطر العقل على الخوف، عندها يصبح من أعظم القوى نفعاً للمجتمع والفرد وأصبحت له قيمة بنائية كبيرة .

علاج الخوف:

لاشك أن أهم مصدر من مصادر خوف الأطفال هو نحن الكبار من خلال ما نعرضه أمامهم من سلوك سلبي يتسم بالقلق والخوف والاضطراب والقسوة على الأطفال، وزجرهم أو إهمالهم، وتجاهل أسئلتهم، واستثارة مخاوفهم بشتى السبل أو دون وعي، لهذا يتوجب علينا القول بأن علاج الخوف لدى الأطفال يلعب فيه الكبار دوراً كبيراً ومهماً في توجيه الأطفال وتخفيف مخاوفهم وتوضيح الأمور الغريبة وتقريبها من إدراك الطفل وربط مصادر خوفهم بأمور سارة ومحبية بدلاً من ربطها بأمور تثير الخوف، وعليه فلنقي أطفالنا، ونعالج من يعاني من الخوف منهم أن نعتمد المبادئ الآتية:

1- أن يكون الآباء والأمهات والمعلمون عمليين في سلوكهم أمام الأطفال، ضابطين لانفعالاتهم، مما يخفف كثيراً من مسببات خوف الأبناء، وعلى الأخص إذا لم يتعمدوا إثارة أشياء مسببة للخوف وبعيدة عن إدراك الأطفال وحسّهم.

2- عدم ترك الطفل ينسى مواقف الخوف بسرعة؛ إذ إن عملية النسيان هذه تتم عن طريق الكبت، فتصبح فيما بعد مصدراً للاضطرابات النفسية.

(□) رمزية الغريب، العلاقات الإنسانية في حياة الصغير ومشكلاته اليومية، القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية، ص 258.

3- أن الطفل سريع التأثر، شديد الانفعال، قليل الإدراك ، نادر الخبرة ، ضئيل الحيلة ، وهذا كله يستدعي منا أن نخلق جوًّا مناسبًا له في البيت والمدرسة قوامه المحبة والدفء العاطفي والأمن والعطف والحنان وبدرجات موزونة ومعقولة.

4- تنمية الثقة بالنفس والقدرة على مجابهة ما يخافه بصورة مباشرة يتعذر تطبيقها عندما تكون المخاوف معقدة وغامضة، وهذا يستدعي الخيطة والحذر، ودفع الطفل إلى المواقف الجديدة دفعًا متدرجًا لا عنف فيه ولا مفاجأة ، وأن نظل إلى جانبه نظمئنه ونساعده على التصرف الحسن قبل الموقف الجديد؛ مما يخفف من حدّة مخاوفه، ويتيح الفرصة أمامه للتغلب عليها.

5- التوضيح والشرح المنطقي الذي يجب أن يلي العون العاطفي والبدني، فكثيرًا ما يتطلب الأمر تكرار وإعادة الإيضاحات المباشرة والبسيطة في كل مرة تعود فيها حالة الخوف، أو يظهر فيها الشيء الذي يخاف الطفل منه، وقد يكتسب القوة تجاه مخاوفه من خلال تكرار الصيغة ذاتها في كل مرة ، إلى أن يصبح قادرًا على التمييز بين شعوره بالخوف من جهة وبين حقيقة أن الشيء الذي يخافه لا يستطيع إيذاؤه فعلاً.

6- عدم الاستهانة بمخاوف الطفل والتقليل من شأنها؛ فهي إذا كانت بالنسبة لنا مخاوف وهمية أو تافهة ؛ فهي بالنسبة له مخاوف حقيقية ، وإن الاستهانة بها وعدم التعاطف معه قد يخلق لديه شعورًا بالعجز وعدم الأمن، وقد يقود ذلك إلى الهلع والذعر والرغبة، مما يزيد الوضع تعقيدًا .

7- ربط الشيء المخيف بموضوعات سارة يميل إليها الطفل؛ حتى يتعود على رؤيته مقترنًا بما يحب ، ومحاولة زجّه مع أطفال لا يخافون من نفس الشيء الذي يخافه؛ لتطمئن نفسه وتزداد ثقته بها .

8- "ويعد الإيحاء الذاتي Autosuggestion من أهم أنواع العلاج، حيث يتوجب على المربي أن يحمل الأطفال الخائفين على القول بأنهم شجعان، وأنهم لا يهابون موضوع خوفهم، وقد يساعدهم الراشدون مساعدة كبرى بأن يعلنوا أن هؤلاء الأطفال شجعان لا يخافون ، مثيرين كبريائهم وعزة أنفسهم" (□).

(□) فاخر عاقل: (1978) أصول علم النفس وتطبيقاته. ط3 بيروت ، دار العلم للملايين ص 221.

9- يجب أن يسلك الكبار أمام الأطفال سلوكًا هادئًا متزنًا دونما تهويل وانفعال عندما تتعرض العائلة أو أحد أفرادها لسوء؛ لأن حالات الفزع والانهيار التي يلحظها الطفل عند الكبار سوف تنتقل إليه عن طريق المشاركة الوجدانية والإيحاء التقليدي، وبذلك سوف يتعلم أسلوبًا جديدًا لمواجهة المواقف المماثلة ينطوي على نفس الاستجابة المتعلمة.

10- إبعاد الطفل عن مثيرات الخوف التي تقع تحت سيطرتنا، مثل الحكايات الخرافية، وما يتعلق ببعض الحيوانات المخيفة التي لا وجود لها؛ كالغيلان والسحالي والثعابين ذات الرؤوس السبعة.. أو عن بعض المخلوقات الغريبة كالجن والشياطين والسحرة.

11- مساعدة الأهل للطفل الخائف بتشجيعه على مواجهة ما يخيفه دون مبرر، واستنباط أساليب ملائمة من شأنها مساعدته في السيطرة على مخاوفه، ويأتي في مقدمتها تشجيعه ومكافئته وامتداحه في كل مرة يستطيع فيها أن يسيطر- ولو بشكل طفيف- على مخاوفه.

12- وعندما تدوم المخاوف لفترة غير قصيرة، وعندما يستمر الطفل باستبدال مخاوف بأخرى، أو عندما تصبح المخاوف المتزايدة معطلة للوظائف العصبية للطفل أو للعائلة عمومًا فإن استشارة الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين تصبح ضرورية.

* * *

2- الغضب Anger

يُعدُّ الغضب انفعالاً طبيعياً، يفترض وجوده لدى أي طفل بقدر معين، والطفل الذي لا يغضب على الإطلاق إنما هو طفل غير طبيعي، فيه شيء من البلادة والغباء، وهذا الانفعال الذي يفترض وجوده لدى كل طفل سوي تختلف المواقف المثيرة له من طفل لآخر، كما تختلف أساليب التعبير عنه أيضاً تبعاً للفروق الفردية بين الأطفال من جهة، واختلاف الظروف البيئية التي يعيشون فيها من جهة ثانية، والتي سنذكرها عند الحديث عن أسباب الغضب وسبل علاجه.

والغضب كحالة انفعالية يتعلمها الطفل من الكبار بطريقة المحاكاة والتقليد Imitation ، فهو عندما يجد أحد والديه ينفجر غاضباً لأي سبب فإننا نتوقع أن الطفل – الكبير خاصة – سوف يكرر هذا المشهد الغاضب على أحد إخوته أو أقرانه عندما يلعب معهم، وإذا كان الغضب حالة شائعة في الأسرة؛ فالمتوقع أن هذا الطفل قد لا يكتفي بأن يصبَّ حنقه وغضبه على إخوته وزملائه وحسب؛ بل قد يوجه ذلك إلى والديه أو إلى أي فرد مهما كان موقعه ومنزلته، وبهذا فهو يشعر بأن هذا الأسلوب من شأنه أن يزيل القيود المفروضة عليه، ويعد وسيلة مهمة لجذب الانتباه والحصول على ما يرمي إليه.

وصورة الغضب لدى الأطفال ذات وجهين مختلفين، حيث يشيع الوجه الأول بين الأطفال الانبساطيين، ويتميز بالصراخ أو الضرب وتكسير الأشياء وإتلافها، وقذف الآخرين بالكلمات النابية والتهجم عليهم، ويمكن القول بأن صورة الغضب هذه تعد إيجابية؛ لأنها تعطي الفرصة للطفل للتعبير عما في داخله من كبت، أي: إن غضبه في هذه الحالة إنما هو حالة تفرغ لما يعانیه من كبت وإحباط، يشعر بعدها بشيء من الراحة والهدوء، أما الصور الثانية للغضب فهي تشيع بين الأطفال الانطوائيين، حيث يكظمون غيظهم ويكبتون غضبهم؛ مما يدفعهم للاستغراق في أحلام اليقظة Day Dreames التي تبعدهم عن الواقع لترسم لهم

أحداث حياتهم كما يريدونها أو يتمنونها؛ وفي هذه الحالة يصبح الغضب المكبوت ضارًا بشكل كبير لصحة الطفل النفسية وللآثار التي تتركها عليه في المراحل اللاحقة من حياته.

ومن هنا يمكن الاستنتاج أن السماح للطفل بالتعبير عما يعتمل في نفسه بحدود معقولة ومقبولة بقصد الوصول إلى حلٍّ ما لمشكلته مع اهتمام واضح يحسه الطفل من قبل الوالدين بهذه المشكلة سوف يعوّده على كيفية التحكم في ثورات غضبه، وبعكس ذلك سيكون عرضة للحزن والاكتئاب والقلق، وهذا - كما ألمحنا - سيؤثر عليه في مراحل نموّه المقبلة.

وفي الغالب فإن الأطفال يظهرن غضبهم بشكل واضح عندما يجدون أن هذه الوسيلة تحقق لهم مآربهم، وتوصلهم إلى ما ييغون وصوله، سواءً كانت هذه الغايات مادية أو معنوية، فالطفل يختار الوقت والمكان المناسبين ليمارس غضبه حينما يعرف أن أهله سوف يحققون له مطالبه، وبهذا يصبح قادرًا على السيطرة والتحكم في غضبه وفي ابتزاز ذويه، ويصبح الغضب سلاحًا فعّالًا يشهره بوجه من يريد متى أراد وأنى شاء، وقد تكتشف الأسرة هذه الوسائل التي يستخدمها طفلها، عندها لا بد له من استخدام وسائل أخرى جديدة يعبر بها عن غضبه، وبالتالي سيطرته على ذويه، فإذا وجدهم لا يستجيبون لمطالبه فإنه لا يكتفي بالبكاء وضرب الأرض برجليه؛ فقد يعمد أيضًا إلى الصراخ والارتقاء على الأرض وتكسير الأشياء، وإذا وجد أن أهله مازالوا مصرّين على موقفهم فقد يعمد إلى ضرب نفسه وشد شعره، ومحاولة التقيؤ أو التظاهر بتخشب الجسم، مما يضطر أهله للاستسلام لرغباته وتنفيذها، وبالتالي يخرج من هذه (المعركة) منتصرًا ومعطيًا لأهله الضوء الأحمر بعد رفضهم لمطالبه مستقبلاً وهكذا.

مظاهر الغضب:

إن أساليب التعبير عن الغضب كثيرة متنوعة، فقد نأخذ أسلوب التحطيم للسبب المثير للغضب، أو بالضرب، أو العض بالأسنان Aggression Biting، أو

الاعتداء على ممتلكات المثير أو أي شيء يتصل به، وقد تدفع النوبات الغضبية إلى تدمير الأشياء وإحراقها، أو اللجوء إلى السلب أو الشتم، والتقد والتهديد، وربما تدفع الطفل الغاضب إلى استخدام آلات وأدوات التدمير والقتل.

ويخضع الغضب لقوانين الوراثة ولعوامل البيئة كالتقاليد والمثل، وإلى ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها، وإلى طبيعة الموقف الذي يعيشه الطفل الغاضب، فقد تتوافر في هذا الموقف من المثيرات ما يزيد من الغضب ويدفعه باتجاهات سلبية مؤذية، وقد لا تكون هذه المثيرات قوية، فما يلبث الطفل الغاضب أن يهدأ بمجرد أن يفرغ غضبه ويعود إلى وضعه الطبيعي.

وقد قامت جودانوف Goodenough بدراسة مظاهر الغضب لدى الأطفال في أعمار مختلفة؛ فوجدت أن هذا الانفعال يأخذ أشكالاً متباينة تبعاً لسن الطفل، وقد توصلت إلى أن:

1- استجابات الأطفال في السنة الأولى تأخذ شكلاً نشاطياً غير موجهٍ مثل الصراخ Crying، الرفس بالقدمين Kicking، إلقاء نفسه على الأرض، العض Biting، القفز إلى أعلى وأسفل.. إلخ.

2- وفي سن الثانية والثالثة تكون استجابات الطفل الغضبية على شكل بكاء شديد مع تصلب وتوتر في أعضاء الجسم، والعض، وشد الشعر والملابس، ومحاولة إيذاء من هم أصغر منه سناً.

3- وفي السنة الرابعة تأخذ مظاهر الغضب شكل احتجاجات لفظية يقصد بها قذف الآخرين وتهديدهم وتوعدهم لأخذ الثأر منهم.

4- وفي سن الخامسة يعبر الطفل عن غضبه في صورة بكاء شديد وعنادٍ مع ضرب الأرض برجليه في محاولة لجذب انتباه الآخرين إليه.

5- وفي سن السادسة والسابعة تكون مظاهر الغضب لدى الأطفال على شكل عصيان وهياج وتمرد ومحاولة إيذاء الأفراد أو الأشياء التي سببت غضبهم.

6- وفي سن الثامنة يعبر الطفل الغاضب عن غضبه بالشكوى والتذمر والبكاء والملل والسلبية والانزواء.

7- أما في سن التاسعة والعاشر فإن الطفل يتخذ مواقف سلبية إزاء من يثيرون غضبه مع التمتمة ببعض الألفاظ غير المسموعة وغير المفهومة، وتتغير تعبيرات وجهه، غير أن ذلك لا يصاحبه عنف أو ثورة غضبية واضحة كما كانت تحصل في المراحل السابقة من حياته.

8- وبعد هذا السن يقف الطفل على أبواب مرحلة جديدة وخطيرة؛ تلك هي مرحلة المراهقة، وبهذا فإن مظاهر غضبه تتسم بالعدوانية والمشاجرة والعصيان ومحاولة فرض وجوده وآرائه في المنزل وعلى زملائه الآخرين (□).

أسباب الغضب:

الأسباب التي تثير غضب الأطفال كثيرة ومتشعبة، ولا يمكن الإحاطة بها بشكل كامل ونهائي، فهناك أسباب قد تثير طفلاً ما ولكنها لا تثير طفلاً آخر، غير أن هناك أسباباً عامة ومشتركة يمكن أن تكون فعالة أكثر من غيرها في استثارة غضب الأطفال نوجزها بالنقاط الآتية:

1- السلطة الوالدية المتغيرة: ونقصد بها أسلوب التنشئة الذي تتخذه الأسرة تجاه طفلها، والذي يكون بشكل متذبذب غير مستقر، أو منحاز لجانب الطفل أو بالعكس، فبعض الأسر التي تسودها التوترات الانفعالية وتسودها مشكلات الضبط الأسري، ومشكلات العلاقة الزوجية بين الأبوين سوف تقود بالتأكيد إلى عدم استقرار الضبط والتوجيه المطلوب للأبناء، حيث يوجه كلٌّ منهما الطفل بالطريقة أو الأسلوب الذي يرتأيه، وفي بعض الأحيان إذا كانت المشاحنات العائلية على أشدها فإن أسلوب التوجيه للأبناء قد يأخذ صيغة الإغاظة بين الوالدين، ففي الوقت الذي يلي فيه الأب رغبات طفله فإن الأم قد تمنع أو تعيق عنه هذه الرغبات بقصد إغاظة زوجها؛ لأنها على خلاف معه أو بالعكس، غير مدركين ما

(1) Goodenough Florence (1951): Anger in young children. University of Minnesota. Inst. child Welf. monogr ser. Q.p. 121

لهذا الأسلوب من آثار ضارة على نفسية الطفل حاليًا وفي المستقبل، وبالتأكيد فإن الطفل قد يستسيغ ذلك؛ لأنه متأكد تمامًا من حصوله على مبتغاه بمجرد أن يمارس غضبه أمام من يلبي له هذه الرغبات من والديه، فضلًا عن أن هذه الطريقة سوف تخلق منه شخصية انتهازية مكروهة فيما بعد، ويمكن أن ندخل في هذا الإطار أيضًا تعدد السلطات الضابطة والموجهة لسلوك الطفل داخل الأسرة الواحدة مثل الجد والجدة أو الأعمام والأخوال والخالات وغيرهم، خصوصًا إذا كان والد الطفل بعيدًا عن المنزل لسبب ما، أو متوفى، أو أن والدته قد تركته بسبب زواجها أو وفاتها، ففي هذه الحالة سوف تتعدد وتتضارب السلطات الضابطة للطفل؛ فهي تارة شديدة صعبة، وتارة مترخية متساهلة يمكن استغلالها والسيطرة عليها بمجرد إعلان غضبه وتمرده عليها.

2- الانفجارات العصبية والغضبة التي يظهرها بعض الآباء والأمهات أمام أطفالهم، ونزوعهم الشديد للسيطرة مع أبنائهم، أو توجيه اللوم والنقد اللاذع لهم لأنفه الأسباب، مما يجعلهم يشعرون بالغضب والغيرة والحقد والمرارة، وفقدان الشعور بالأمن والطمأنينة والحرمان من الدفء العاطفي، فيلجئون إلى مكاييد الآخرين، بدءًا بالأبوين فالمعلمين ثم الأقران وغيرهم بافتعال نوبات غضبية سبق لهم أن تعلموها، بقصد الوصول إلى أهداف مرسومة في نفوسهم.

3- تدليل الطفل وتلبية رغباته بمجرد الإعلان عنها لأسباب يعتقد الأبوين بوجاهتها خطأ، حيث إن هذا التدليل سوف يعطي الطفل المدلل سلاحًا ماضيًا يستخدمه متى ما أراد، ذلك هو الغضب الذي يمارسه كلما أحس أن والديه لا يلبيون مطالبه أو يحققون رغباته، فضلًا عن ذلك فإن الوالدين إنما يجنون على هذا الطفل؛ لأنه سيقى ذا شخصية هشّة؛ يثور كلما واجه موقفًا صعبًا، أو عجز عن تحقيق رغباته الطفلية.

4- تقييد حرية الطفل وحركته، سواء كان ذلك بالتدخل في لعبه من قبل الكبار، أو منعه من التعبير عن رأيه وإثبات ذاته، كذلك عند ممارسة الضغط عليه ومحاولة تقييده، أو عندما يشعر بالظلم والاضطهاد من قبل والديه أو معلميه أو زملائه، أو أن الآخرين من الكبار يجابون غيره من الأطفال.

5- الغيرة أيضاً تعد من الأسباب المهمة في شيوخ انفعال الغضب بين الأطفال، فالطفل يغضب بسبب شعوره بالحرمان من حب والديه وعطفهما بعد مجيء مولود جديد للأسرة وانشغال الوالدين بهذا الوافد الجديد، فيغضب الطفل الكبير لهذا التهديد لمركزه في الأسرة، فيشرع باستخدام غضبه بقصد جذب الانتباه إليه وتحويل اهتمام والديه نحوه، وقد يغضب الطفل بسبب غيرته من زميله في المدرسة الذي يتقدم عليه دراسياً، فيثور في وجهة لآتفه الأسباب، أو قد يحوّل غضبه إلى كل ما يتصل بهذا الزميل من أصدقاء أو معلمين أو نظام مدرسي.

علاج الغضب:

1- منح الطفل فرصة للتعبير عن نفسه وعن ذاته، وتجنب فرض القيود المحددة لحرية وحركته، وعدم المبالغة في التدخل في شئونه الخاصة، لاسيما فيما يتعلق بألعابه وساعات راحته وطعامه، ومساعدته قدر الإمكان في تحقيق رغباته المشروعة، والتنفيس عن مشاعره المكبوتة وممارسة هواياته.

2- تجنب إذلال الطفل والسخرية منه، والاستهانة به وبآراءه، لاسيما أمام الآخرين، كما يتوجب عدم شكوى الوالدين للأقارب والضيوف من طفلها بحضوره واعترافها بسطوته وخضوعها لإرادته عندما يغضب ويثور؛ لأن ذلك سوف يجعله أكثر تمسكاً بهذا الأسلوب.

3- ضبط النفس أمام الأطفال في المواقف التي تضطرننا للتعبير عن غضبنا وثورتنا، لأننا إذا لم نستطيع ذلك فإننا سنوفر لأطفالنا فرصة تقليدنا دون أن ندري.

4- يجب أن يعود الوالدين طفلها أن لا مكافأة عن الغضب، وأن هذا الأسلوب لا يمكن أن يحقق له ما يريد، وأن رغباته لا تتحقق إلا من خلال هدوء الطبع والسلوك المقبول بعيداً عن الانفجارات الغضبية المرفوضة، وهذا لا يتم – بالطبع – إلا من خلال القدوة الحسنة للوالدين أما أطفالها، ومن خلال التدريب المتواصل الذي يتطلب الصبر والهدوء والمرونة في التعامل مع الأطفال.

5- عدم استثارة الأطفال لتسليية أنفسنا وحجب بعض الأشياء والامتيازات عنهم من أجل أن تستمر استثارتهم وتزداد تسليتنا، ثم نقوم بعد ذلك بمنحهم هذه الأشياء والامتيازات بسبب استمرار ثورتهم وغضبهم، حيث إن الطفل يتصور أن حصوله على هذه الامتيازات إنما جاءت بسبب غضبه؛ هذا ليس غير، وبالتالي سيصبح هذا الأسلوب هو المتبع دائماً للحصول على أي شيء آخر.

6- لا يجوز المقارنة بين الأطفال وعلى مسمع منهم، سواء كانوا أخوة أو اقرباء، لأن ذلك سيخلق بينهم الغيرة التي تقود إلى البغضاء والتشاحن، وبذلك يسهل إغضابهم واستثارتهم.

7- أن يكون هناك تفاهم بين الوالدين حول الأسلوب التربوي الذي يتبعانه في تربية أطفالهما بحيث لا يجد الطفل أي فارق في التعامل بين أمه وأبيه.

8- ملء أوقات فراغ الطفل بالأنشطة المفيدة والتي تستهويه، سواء كانت هذه الأنشطة على شكل ألعاب يميل إليها أو أنشطة رياضية أو اجتماعية أو ترويحية أو هوايات ومساعدته على تنميتها وتطويرها.

9- وفي الحالات الغضبية الحادة والمتكررة يتوجب إجراء فحوص جسدية للطفل، إذ قد يكون الغضب ناشئاً عن اختلال في إفرازات الغدة الدرقية أو الغدد التناسلية أو الكظرية، أو قد يكون بسبب الإمساك أو التعب الشديد أو قلة النوم، أو سوء التغذية، وغير ذلك.

* * *

3- السلوك العدواني Aggressive Behaviour

يتصور البعض منا أن بعض السلوك المشكل الذي يمارسه الأطفال هو محض سلوك سلبي عدواني هدام، ولكنه في حقيقته سلوك إيجابي لا كما نتصور، فهو كما يقول فرويد: " منشأ الحيوية ومبعث الإيجابية والنشاط " وقد أيده في هذا الرأي المؤتمر الدولي للصحة النفسية الذي انعقد في لندن عام 1948 والذي أشار إلى أن بعض سلوك الأطفال الذي نطلق عليه (السلوك العدواني) ما هو إلا سلوك سوي يحتاج الطفل إلى ممارسته بدلاً من أن يُدفع إلى اجتنابه ويشجع للإقلاع عنه.

وقد ظهرت آراء شتى اختلفت كثيراً واقتربت قليلاً ، وهي تفسر السلوك العدواني للأطفال ، وغير أن هذا السلوك - بشكل عام - سلوك ضار وغير مرغوب فيه من قبلنا نحن الكبار، لاسيما إذا كان موجهاً ضد الأفراد، وأصبح سلوكاً شاملاً يعتمد التدمير والتحطيم والتخريب، وتجاوز حدوده بحيث ترتب عليه شعور الطفل بالذنب وكره نفسه وكره الآخرين.

ويظهر السلوك العدواني لدى الأطفال في أفعال من نوع الضرب أو الرفس والعض، وفي الكلام القاسي أو البذيء ، وفي السخرية والاستهزاء والحط من قيمة الآخرين.. وهي كلها استجابات ترتبط بعدد من المشاعر والدوافع الناشئة عن توتر داخلي من نوع يضايق صاحبه، مثل الكره والغضب والغيرة والرفض والتمرد والعصيان، أو قد تكون مرتبطة بمشاعر التفوق والاستعلاء كما هو الحال في معاكسة الآخرين والتهديد والوعيد والتحكم والسيطرة ؛ أو أنها قد تكون مرتبطة بمشاعر اللذة والارتياح، كما هو الحال في السخرية والنقد اللاذع ومضايقه الآخرين، ويغلب أن يكون الارتباط في كل حالة متعدد الجوانب كثير التعقيد.

والطفل العدواني يسعى إلى السيطرة على كل حال، وقد لا يقف عند حدود الضرب والرفس ، بل يتعداها إلى كسر الأشياء وتحطيمها ، وإلى الصراخ وغيره، فإذا ما لجأ الوالدان في مثل هذه الحالة إلى منحه ما يريد ولَبَّوا طلباته مؤثرين السلامة في ذلك، فإنه سوف يستمرئ ذلك ويكرر هذا السلوك في المرات القادمة،

وسوف لن يكون ذلك إلى جانب السلامة التي تحتاجها الأسرة ولا إلى جانب السلوك السوي الذي تؤثره، ولهذا يحدث أحياناً أن يأخذ العدوان شكل الانسحاب حين يرى الطفل العدواني أن الموقف أقوى منه وليس في صالحه، وأن (أسلحته) غير كافية.

ويبدو أن هناك اتفاقاً عاماً بين الباحثين في هذا المجال على أن السلوك العدواني يزداد ظهوره بين الذكور، وخاصة حين تكون هناك حاجة لاستخدام القوة واستعراض العضلات والمباهاة بقصد توكيد الذات، فالذكر عادة ما يكون أكثر عدواناً من الأنثى، وهذا لا يعني أننا ننكر عدوانية الإناث، ولكن يمكن القول: إن عدوانها لا يثار كلية إلا كاستجابة للتهديد، بينما تظهر فعالية عدوان الذكر تلقائياً في التنافس والاستعراض وبشكل أسرع مما هو لدى الأنثى.

والذي نريد التنويه إليه هنا هو أن السلوك العدواني يخضع في ظهوره إلى عوامل عديدة يلعب فيها العامل الحضاري الدور الأكبر والأهم، فقد يمارس طفلاً سلوكاً معيناً، ويعد هذا السلوك عدواناً في حضارة ما، بينما يعد هذا السلوك أمراً عادياً في حضارة أخرى، كما أن لكل مرحلة عمرية مظاهر خاصة بالعدوان الذي يمارسه الطفل فيها، فالطفل في مرحلة الرضاعة يكون معتمداً اعتماداً كاملاً على أمه في إشباع حاجاته الأولية الفسيولوجية بطريقة لا تخلو من الفرض والإلزام، ويحاول أن يجعل أمه مُسخرة له على الدوام في تلبية ما يحتاج، وما أن يصل إلى الثانية من عمره حتى يبدأ تدريجياً بالانفصال عن أمه، ويتميز سلوكه العدواني بالخطف والضرب وشد الشعر، وقد يكون هذا السلوك خالياً من النية أو القصد في إيذاء الغير، أما في سن الرابعة فيغلب على سلوكه المشاحنة والمشاجرة وتحدي سلطة الأم أكثر من ميله للعدوان على الآخرين، بينما نجد طفل العاشرة يحاول أن يصب عدوانه على الأطفال الذي يصغرونه سنّاً، وهذه دالة تشير إلى ميله للاستبداد في المستقبل، واستعداده للتمرد على سلطة الأسرة والقانون، وهي دوافع مكبوتة قد يكون سببها الرئيسي الشعور بمركب النقص الذي يتم تعويضه بالممارسات العدوانية كنوع من التوكيد للذات المقهورة التي تعيش في داخله.

التلفزيون والسلوك العدواني :

يعد التلفزيون واحداً من أبرز وسائل الإعلام التقنية التي جذبت إليها العقول والأبصار، بحيث أثرت كثيراً على أولئك الذين تتعرض حياتهم لبرامجها، لاسيما الشريحة الكبيرة والعريضة التي يتألف منها سكان الوطن العربي، إذ تبلغ النسبة المئوية لفئة الأطفال حوالي 45٪ من السكان، ولكل 17 طفلاً عربياً من هؤلاء هناك جهاز تلفزيون واحد (□).

وأمام اختلاف طبيعة الآثار التي يمكن أن يحدثها التلفزيون على سلوكية الطفل والمتصلة أيضاً بالاختلاف في أساليب عرض مضامين البرامج التي يشاهدونها أصبح من الصعب تحديد نوعية هذه الآثار وحصرها في إطار ثابت؛ لأنها كما يبدو تظل تتخبط ما بين السلب والإيجاب، وأحياناً أخرى تتسم بازدواجية التأثير، فكما هو معلوم أن للتلفزيون تأثيراً إيجابياً يتضح من خلال إكسابه معلومات وثقافات توسع أفق الطفل وتخصب خياله، لكن لهذا الجهاز آثاراً سلبية أخرى ضارة بالطفل مثل أفلام العنف والإثارة والجنس، وبعض البرامج غير المدروسة تماماً والتي تكسب الأطفال قيماً وعادات غير طيبة .

ففيما يتعلق بالآثار السلبية التي تخلفها مشاهد العنف على الأطفال تشير ماكوبي Mc coby إلى أن الأطفال يتعلمون من التلفزيون كيف يتصرفون في المواقف المختلفة، وقد يتصرف تصرفهم بالخشونة إذا دعت الظروف إلى ذلك، وتؤكد أنه كلما استمر الطفل في مشاهدة برامج العنف والغضب؛ فإنه يتغذى ويتعلم منها خاصة إذا كان لديه ميل طبيعي إلى هذا النوع من السلوك (□).

أما جيورجي Georgy فيشير إلى أن السلوك العدواني لدى الأطفال يكون أكثر توقعاً بعد تكرار ما يشاهدونه من لقطات العنف في التلفزيون (□).

(□) عزت جراوات (1982): نحو برامج تلفزيونية هادفة للأطفال. مجلة التربية القطرية، العدد 53 يوليو 1982، ص 80.

(□) انظر: نادية شكري يعقوب (1967): أثر التلفزيون في تلاميذ المدارس الابتدائية، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 46.

(□) إبراهيم إمام (1979): الإعلام الإذاعي والتلفزيوني. دار الفكر العربي، القاهرة، ص 185.

وحول نفس الموضوع يشير علماء الاتصال إلى أن الأطفال العدوانيين يختارون برامج عدوانية ، وهذا يعني أن الطفل يختار ما يدعم اتجاهاته السابقة (□).

وقد أبانت دراسات سيكولوجية عديدة منها دراسة أرنولد Arnold إلى أنه من الممكن استثارة الأطفال على الشعور العدواني والأعمال العدوانية عن طريق مشاهدة البرامج التليفزيونية ذات المحتوى العدواني أو العنيف (□).

ولو أردنا الإطالة في هذا الموضوع فإنه يمكننا أن نورد الكثير في هذا الصدد، ولكن ذلك يعني إلغاءً للدور الإيجابي الذي يؤديه التليفزيون في تنشئة الأطفال وغرس القيم والاتجاهات المرغوبة لديهم، والأمر الذي لا يمكن نكرانه هو أن السلوك العدواني سلوك ظهر مع ظهور البشر على وجه الأرض، وأن مقتل هايبيل ابن سيدنا آدم عليه السلام على يد أخيه قابيل هو أول سلوك عدواني يمارسه الإنسان ضد أقرب الناس إليه، غير أن هذا السلوك قد تطور وتطورت أساليبه وأدواته تبعاً للتقدم الحضاري الذي وصل إليه الإنسان، حيث استطاع أن يمتلك أحدث الأسلحة وأفتكها وأكثرها إيذاءً وضرراً لأخيه الإنسان، بحيث أصبح بإمكانه أن يقوم بعملية إفناء لأعداد هائلة من أبناء جنسه وهو جالس في مكانه، وبمجرد أن يضغط على زرٍّ أو آلة.

وجاء التليفزيون ليقدم لنا ولأطفالنا - ونحن جالسون في بيوتنا - بعضاً من نماذج التدمير والعنف والعدوان هذه ، كما أنه راح يقدم لنا نماذج لمن أطلق عليهم اسم السوبرمان Superman ليقوموا باستعراضات تذهل الطفل وتجعله يعيش في عوالم خيالية واسعة ، وفضلاً عن ذلك كله فإن أفلام الكارتون التي يعشقها الأطفال لا تفتأ تقدم للأطفال أيضاً نماذج سلبية وسيئة عن كيفية ممارسة العدوان ووسائله ، والذي يزيد في الطين بلة أن بعضاً من القائمين على برامج الأطفال والمشرفين عليها لا يمتنون إلى الطفولة ولا إلى عالمها بصلة ، ولا يمتلكون القدر المطلوب من التأهيل العلمي في هذا الجانب، وأخذوا يزنون الأفلام والبرامج التي

(□) المرجع السابق: ص 133.

(2) Arnold, A.(1969): Violence and year chilled .Chicago, Henry Regnery Inc. p.83

يقدمونها للأطفال بميزان القيمة الفنية والجمالية والتقنية فقط، دون مراعاة للقيم الأخلاقية والمعرفية والسلوكية التي تبني شخصية الطفل وتعدده للمستقبل.

أسباب العدوان:

هناك بعض الدراسات التي دلت على أن العدوان يرتبط ارتباطاً إحصائياً كبيراً بالبيئة، وبالتنشئة الاجتماعية Socialization داخل الأسرة، فقد أشار ما كورد Mccord وآخرون إلى أن العدوان يظهر بسبب:

- التعرض للإيذاء من أحد الوالدين أو كليهما.
- اختلاف الوالدين في أسلوب تربية الطفل.
- كره الوالدين أو تدمرهما من الإنجاب، وإشعار الأبناء بأنهم قد جاءوا رغماً عنهما، وأنهما لم يكونا راغبين بذلك.
- ضعف العطف والحنو من قبل الوالدين نحو الأبناء (□).

وهناك من يرى أن السلوك العدواني إنما يتوقف على عوامل منها:

- شدة رغبة الطفل في إيذاء الآخرين وإيلاهم.
- درجة إحباط البيئة وإثارتها للميول للعدوان.
- كمية القلق والشعور بالإثم المرتبط بالعدوان (□).

ومهما كانت الاجتهادات في هذا الصدد فإنه لا بد لنا من القول بأن شعور الطفل بضعفه إذا ما قورن بالكبار يجبره على أن ينتهز أية فرصة لإثبات قوته، ويحاول أن يتعلم أنه يجب أن لا يظل في الموقف الأضعف دائماً وأنه لديه على الأقل بعض القوة لمواجهة الأفراد الآخرين، وهكذا يبدأ بتجريب عدوانه على الآخرين، وعندها سوف يجابه من قبل الوالدين إما بالعقاب أو بالتسامح، وعندما يكون

(1) Mc cord w. Mc cord J. and Howard A.(1962): Correlates of Aggression in nondelinquent male children, journal of Abnormal psychology pp.79-93.

(□) جون كونجر وآخرون (1977) سيكولوجية الطفولة والشخصية. ت. أحمد عبد العزيز سلامة

وجابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية . القاهرة . ص 357.

العقاب صارماً وقاسياً فإنه سوف يزيد من الدفعات العدوانية لدى الطفل، كما أن الإفراط في التسامح أيضاً مع عدوان الطفل سوف يؤدي إلى زيادة عدوانه وتكراره؛ لأن هذا التسامح هو بمثابة تعزيز وإثابة تدفع الطفل للتماهي في عدوانه.

وهناك أسباب أخرى كثيرة تدفع بعض الأطفال لممارسة السلوك العدواني، منها الحرمان من إشباع رغباتهم الرئيسية والمهمة، والقيود المفروضة على حرياتهم وحركاتهم وألعابهم، أو القيود المفروضة على حرية تعبيرهم عما يريدونه وما يشعرون به، مما يولد لديهم إحساساً بالظلم والاضطهاد، فيندفع للمقاومة والعدوان، كما يسهم الوالدان إسهاماً كبيراً في إبراز هذا السلوك وتنشيطه عندما يستخدمان بعض الأساليب القسرية في التعامل مع أبنائهما، أو عندما تكون هذه المعاملة متذبذبة ومتغيرة وتميز طفلاً على آخر، فضلاً عن استخدام العقاب بشكل مستمر باعتقاد أن هذا الأسلوب هو الوسيلة الوحيدة لخفض أو إطفاء السلوك غير المرغوب لدى الأطفال، ولهذا نجد أن بعض الأطفال يقلدون الكبار عندما يمارسون عدوانيتهم على الآخرين، وهذا يعني أن الكبار يعطون للصغار النموذج Modeling في ممارسة العدوان دون أن يدركوا ذلك، ولو لاحظنا طفلاً يُعاقب لوجدناه يمارس نفس الأسلوب الذي عوقب به من قبل الكبار تجاه أول طفل يصادفه بمجرد أن يفلت من العقاب، ولاحظ أيضاً الأطفال وهم يشاهدون فيلماً من أفلام الكارتون فيه شيء من العنف والضرب، ولوجدت أنهم وبمجرد انتهاء الفيلم يقومون بضرب بعضهم بنفس الأسلوب الذي مارسه بطل الفيلم، وعادة ما يكون الضحية هو الطفل الأقل عمراً والأضعف مقاومة بينهم.

علاج العدوان:

قبل الإشارة إلى الأساليب الواجب اتخاذها لعلاج السلوك العدواني لدى الأطفال، لابد من القول بأن تعبير الطفل عن غضبه واستجابته للإحباطات التي يواجهها بنوع من السلوك العدواني، وهو أمر طبيعي بل وضروري لكي ينمو نمواً انفعالياً سليماً وتتكامل شخصيته، غير أننا يجب أن نكون حذرين إزاء هذا الموضوع حذراً شديداً؛ لأن العدوان الإيجابي قد ينقلب إلى عدوان سلبي هدام إذا لم نحسن

التوجيه والتصرف مع أطفالنا ، وهذا يتطلب منا ما يأتي :

1- عدم اللجوء إلى أسلوب العقاب مع أطفالنا عندما يظهرون سلوكاً غير مرضٍ أو يخرقون النظام في البيت أو المدرسة ؛ لأن العقاب سوف يؤجج روح المقاومة والقتال لديهم، وتزداد عدوانيتهم وفي ذات الوقت لا يجوز لنا أن نترك الحبل على الغارب ونكون مفرطين في التسامح واللين وتلبية طلباتهم ورغباتهم كيفما شاءوا، وإنما يجب أن يكون هناك قدر معقول من الإحباط بين ما يرغبه الطفل والمحددات التي تعيق هذه الرغبة لكي نوفر له نموّاً انفعاليّاً سليماً مع ثقة عالية بالنفس تساعد في المستقبل على قهر الصعاب التي يواجهها .

2- مساعدة الطفل على أن يتخلص من توتره، فلا ننزعج منه عندما يظهر غضبه في المواقف التي تستدعي الغضب؛ لأن التوتر إذا ما بقي مضغوطاً ومكبوتاً لدى الطفل فقد يولد انفجارات انفعالية مؤذية للطفل ولمن حوله .

3- لا بد أن نعرف أن الطفل مقلد جيد ومن الطراز الأول ، وهو يقلد أقرب الناس إليه ويعده نموذجاً يتقمصه في ممارسته لسلوك ما ، وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الطفل قد يتعلم السلوك العدواني من والده الذي يستخدم معه أو مع أحد إخوته العقاب؛ فيتعلم منه كيف يمارس عدوانه على الآخرين، أو قد يتعلم العدوان من فيلم كارتون يشاهده في التلفزيون ويحاول أن يتقمص شخصية بطل الفيلم الذي يحاول أن يفرغ عدوانه على الآخرين، وهذا الأسلوب الذي يتم بالتعلم يدعى بالتمذجة Sampling or Modeling أي: إن الطفل يتخذ له نموذجاً يتقمصه، ويحاول أن يقلده في الأسلوب العدواني الذي مارسه النموذج ، وعليه فإن ذلك يتطلب منا أن نكون حذرين في هذا الجانب ، ونحاول جهدنا أن نبعد الأطفال عن تقليد النماذج التي تظهر العدوان أو تمارسه، سواءً منا نحن الكبار أو من الأفلام التي يشاهدونها أو أية مواقف أخرى (□) .

(□) باني الناصر ، وعبد الجبار توفيق البياني (1974) : استقصاء عادات تلاميذ المرحلة الابتدائية في مشاهدة البرامج التلفزيونية وما يفضلونه منها، مركز البحوث التربوية والنفسية. جامعة بغداد ، المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون والسينما. ج1، 1973، ج2، 1974.

4- أشارت بعض الدراسات (□) إلى أن تنظيم أوقات مشاهدة التلفزيون للأطفال يكاد يكون أمرًا مفقودًا لدى غالبية العوائل، وهذا الأمر ينطوي على خطورة كبيرة؛ إذ يشير غالبية المختصين بالأمراض النفسية إلى أن الطفل الذي تتجاوز مشاهدته للتلفزيون الثلاث ساعات بحاجة إلى علاج نفسي؛ لأن الطفل كما يقول ماكوبي Mc coby يلجأ إلى التلفزيون عندما لا يكون على وفاق مع والديه حيث يجد فيه فائدة للهرب من والديه، وفي نفس الوقت الانتقام منها خلسة بالإقبال على سلوك لا يرضيها (□).

5- على الوالدين أن يتدخلوا بحزم ولا يسمحان لأطفالهما بمشاهدة برامج موجهة للكبار، وخاصة تلك التي تمجد العنف والقوة، وتركز على القدرات الخارقة للإنسان؛ لأن مثل هذه البرامج تحدث آثارًا نفسية ضارة في نفوس الأطفال.

6- الاطمئنان والأمن النفسي ضروري جدًا للطفل، وهذا يتأتى من خلال اهتمام الوالدين بطفلها وبحياته المدرسية وبأصدقائه؛ لأن فقدان هذا الاهتمام يدفع الطفل إلى خلق أجواء عدوانية يتسلط من خلالها على غيره باستخدام القوة بقصد الحصول على الأمن النفسي والرضا عن الذات اللذين يفتقدتهما في حياته كنوع من التعويض.

* * *

(□) قاسم حسين صالح (1975) : علاقة طول مدة مشاهدة التلفزيون وطبيعة برامجها بالتحصيل المدرسي لطلبة الصف السادس الابتدائي. رسالة ماجستير. كلية التربية جامعة بغداد.

(2) Mc coby, Eleanor (1963) : The Effects of television on children in Wilbur schramm, ed, the science of human communiation New york, Basic Books , p.121.

4- الغش Cheating

لا شك أن من الأهداف الأساسية والمهمة للتربية السليمة تخريج العديد من الأنماط البشرية والنماذج الإنسانية ذات الصفات المرغوبة والخصائص المطلوبة، ومن أجل هذا فإن جهوداً مضمّنة تبذل وأموالاً طائلة تنفق، ووقتاً كبيراً يخصص وصولاً إلى هذا الهدف النبيل الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الامتحانات التي تعد ضرورة تربوية لا يمكن الاستغناء عنها، فهي أداة رئيسية ومهمة لقياس ما أسهمت به المناهج، وما تحقق للمتعلمين من فائدة، وللاطمئنان على أن جهود التربية المبذولة تسير في مسارها الصحيح، وعلى أن اكتساب قدرات معينة يعد شرطاً لانتقال التلميذ إلى المرحلة الدراسية التالية، وللكشف عن ميول التلاميذ ومواهبهم، وما بينهم من فروق لاختيار المسار التعليمي المناسب، فضلاً عن أن الامتحان يُظهر لنا مدى ما تقدمه المناهج مجتمعة من وفاء بالتزاماتها التربوية، وما قد تنطوي عليه من قصور وخلل إن وجد، حتى يصار إلى تداركه وتلافيه.

وفي الوقت الذي تستخدم فيه الامتحانات كمقياس لكل ذلك؛ فإنها قد تصبح أداة غير دقيقة وغير قياسية، وغير منصفة إذا ما أسيء استخدامها، وانحرفت عن مقاصدها، وأحيطت بجو من الرهبة والقلق والخوف، أو أنها كانت صعبة غامضة، أو إذا ركزت على الحفظ والتذكر وأهملت جوانب أخرى مهمة كالقدرة على الربط بين الأفكار والتعبير الذاتي عنها واستخدام أساليب التفكير العلمي المنطقية الصحيحة، فضلاً عن إتاحتها الفرصة أمام المتعلم لكي يبدع وابتكر ويتصور ويتخيل ويقيس ويوظف خبراته.

وهكذا يجب أن تكون الامتحانات وإلا فإنها ستخرج عن معناها ومغزاها، وتتبدد من جرّائها الجهود التي تبذل فيها، وتفشل في قياسها لما تحقق من نمو معرفي للمتعلمين، وفي إظهار الفوارق بين المجدين والكسالى، ولهذا فإن ما يفسد دور الامتحانات كأداة للقياس والحكم والتقويم والتوجيه هو الغش الذي يعني استخدام وسائل غير مشروعة للحصول على إجابات صحيحة دون وجه حق،

وبهذا فإن يصبح ضرباً من السرقة والادعاء والظلم والتزيف والتطفل العلمي، وهو عدوان صارخ على الأمانة والصدق والثقة وكل القيم النبيلة.

والغش -كظاهرة غير تربوية- ملازم لأي نظام تعليمي في العالم، غير أن حجمها يختلف من بلد لآخر، ومن نظام تعليمي لآخر، إلا أن آثارها ونتائجها على المتعلم وعلى النظام التعليمي والمجتمع تكاد تكون متشابهة في كل البلدان، فالتلميذ الغشاش هو ضحية كبيرة لما اقترفت يده، حيث يعتره شعور بالضعف العلمي، وفقدان الشعور بالأهلية والكفاءة والمستوى، فضلاً عن أن الغش سيكون سبيلاً ممهداً للانحراف والانجرار لارتكاب المزيد من أعمال الشطط والمخالفة في الحياة، وتوافر الاستعداد الداخلي للمساومة على المبادئ والقيم والحقوق.

وقد تكون أخطار الغش وأضراره وقتية أو مستقبلية، فمن أخطاره الوقتية: ضياع وقت التلميذ في أمور أخرى بعيدة عن المذاكرة والدراسة لاعتماده على الغش، وميله إلى اللامبالاة والاستهتار مع الطلبة والمعلمين، واستخفافه بالمادة الدراسية، وعدم احترامه للنظام المدرسي فضلاً، عن سقوطه الدائم في دوامة الخوف والرهبة والاضطراب، والتعرض للاستهجان وعدم الثقة والاحترام من قبل زملائه والمعلمين، أما مخاطر الغش المستقبلية فتتمثل في اتخاذ الغش عادة توقع صاحبها أسيراً للالتكالية في جميع المواقف التي تتطلب منه العناية والتأمل، حتى في الأمور التي يجيدها، وعليه فهو دائم التعثر في دراسته وفي حياته العملية، وتعرضه إلى الكثير من المواقف الصعبة والمحرجة التي تقلل من شأنه وتكشف حقيقته العلمية في لقاءاته ومناقشاته مع الآخرين.

أما أخطار الغش على المجتمع فتتمثل في الغشاشين أنفسهم، فإذا ما تهيأت لهم سبل تولي قيادة عمل ما فسيكون لقيادتهم آثاراً سلبية على المجتمع؛ إذا أن (فاقد الشيء لا يعطيه)، وكلما كثرت هذه الفئة وأسندت إليها بعض المهام فإن الفشل سيكون من نصيبها؛ لأن النجاح يحتاج إلى أساس متين، قوامه الفهم والعلم والمعرفة والأمانة، كما أن هذه الفئة ستكون مثلاً سيئاً للأجيال المقبلة؛ لأن الغش في حقيقته هو غش للنفس قبل كل شيء، فكيف لا يغش في عمله، وهل يمكننا أن

نتوقع منه غير الغش والكذب مع من يتعامل معهم إذا كان غير أمين مع نفسه وذاته؟

ولو تابعنا شخصية الغشاش عن الكتب؛ لوجدنا مظاهر نفسية تتميز بها شخصيته هذه، فهو إضافة لكل ما تقدم يتمتع بالكذب، النفاق، الخداع، السرقة، الأنانية، التوتر، العدوان، اهتزاز الثقة بالنفس، عدم احترام الذات، الشعور بالعجز والدونية، الاتكالية، التحايل، عدم القدرة على تحمل المسؤولية.

أسباب الغش:

أ) أسباب تتعلق بالتلميذ وأسرته:

1- قد يكون الغش استجابة لدواعي التغيير الداخلي الساخط بحيث يكون موقف التلميذ في حالة الغش مقرونا بالدوافع لتحقيق نتائج بوسائل يرى أنها مباحة ومشروعة في ضوء غياب الشمول والاكتمال لمقومات التربية الأساسية.

2- غياب النموذج الملتزم والمنضبط داخل الأسرة بسبب سلبية العطاء، وضعف المتابعة الحقيقية، وأساليب التنشئة الخاطئة المعتمدة على الانفعال والتهور والمحاسبة على كل كبيرة وصغيرة.

3- ضعف المستوى العلمي للتلميذ الغشاش لأسباب عديدة.

4- انتقال هذه الظاهرة بين التلاميذ عن طريق (العدوى)، حيث إن ممارسي الغش يحاولون جذب أنظار الغير من التلاميذ، مصورين أنفسهم على أنهم قادرين على الحصول على النتائج بوسائل سهلة وميسورة كما يصورونها للغير، وأن أعمالهم هذه فيها شيء من الشجاعة والمخاطرة والمباهاة؛ ذلك أنهم يستطيعون أن يقوموا بالغش ولا ينكشف أمرهم، فهي العدوى والغيرة التي تدفع بعض التلاميذ من ذوي المستوي التحصيلي المتدني لممارسة هذا الفعل غير المقبول.

5- ضعف التوجيه التربوي والديني والخلقي الذي يجب أن تضطلع به الأسرة، وفشل بعض الأسر في توجيه أبنائها لضرورة احترام القوانين والقيم والضوابط الاجتماعية.

6- الأساليب المحظورة التي يتبعها التلاميذ في استذكار دروسهم.

7- إهمال المادة الدراسية المطلوب دراستها وعدم متابعتها بشكل يومي حين تراكمها عندما يحين موعد الامتحان ، مما لا يجد معه التلميذ بُدًّا من الغش لعدم قدرته على مراجعة واستذكار هذا الكم الكبير من المادة الدراسية في وقت ضيق يسبق الامتحان.

8- عدم متابعة بعض أولياء أمور التلاميذ لمسيرة أبنائهم الدراسية داخل المدرسة، لاسيما التلاميذ من ذوي التحصيل المنخفض.

9- ضغط الآباء المستمر على أبنائهم من أجل الحصول على درجات عالية في الامتحانات قد تدفع بعض التلاميذ لممارسة الغش كيما يحقق رغبة والديه.

ب) أسباب تتعلق بالمدرسة :

1- ضعف الضبط المدرسي وتساهل الإدارة والمعلمون في تحجيم هذه الظاهرة والحد منها.

2- ضعف المعلم في ضبطه للصف، وضعف شخصيته وهبوط مستواه التدريسي وعدم قدرته على إيصال المادة إلى أذهان التلاميذ بشكل سهل وميسور، مما قد يدفع بعض الطلبة لممارسة الغش للحصول على درجة النجاح.

3- كثافة المادة الدراسية المطلوبة في الامتحان وتعقيدها.

4- صعوبة أسئلة الامتحانات أو طولها، أو اعتمادها على أسلوب نمطي ممل.

5- كثافة عدد التلاميذ الممتحنين في القاعة الامتحانية الواحدة.

6- عدم مراعاة التوازن بين عدد الأسئلة والزمن المقرر لها.

7- وليس التساهل وضعف الضبط هو الذي يدفع نحو الغش وحسب؛ بل إن الصرامة والشدة والاستبداد قد يدفعوا أيضًا بعض التلاميذ إلى الغش وبوسائل ذكية مبتكرة، وغايتهم في ذلك هي الانتقام من المعلم وصرامته، والشعور بالزهو والانتصار داخل الذات أو أمام الآخرين عندما يستطيع التلميذ تحقيق ذلك.

8- أساليب التقويم غير الموضوعية التي يستخدمها بعض المعلمين في تقييم جهود تلاميذهم، وإعطاء الامتحانات أهمية كبيرة على الرغم من وجود أساليب أخرى كثيرة يمكن استخدامها، كالأنشطة العملية والمناقشات والأساليب الحوارية والبحوث وغير ذلك.

9- تركيز الأسئلة الامتحانية على جانب التذكر فقط، وعدم اهتمامها بالقدرة على التحليل والربط والاستنتاج.

علاج الغش:

1- تعاون الإدارة المدرسية مع المعلم في الإشراف على الامتحانات، ومجابهة المخالفين بشكل حازم يوقف أي تجاوز على النظام المدرسي.

2- تطوير نظام التقويم التربوي؛ بحيث تركز الامتحانات على قواعد صلبة لا مجال للغش فيها، واستخدام الوسائل الحديثة في التقويم، كالامتحانات الموضوعية، والتقويم المستمر طوال العام، والامتحانات الشفهية وغيرها.

3- انفتاح المدرسة (إدارةً ومعلمين) على التلاميذ، وذلك من خلال التوعية المستمرة، ومناقشة شئونهم الدراسية والصعوبات التي يواجهونها.

4- تعاون البيت مع المدرسة في التصدي للظواهر غير التربوية، ومتابعة التلميذ داخل المدرسة من حيث السلوك والمواظبة وتأدية الواجبات والتوجيه والمتابعة والبحث عن الحلول المناسبة لأية مشكلة قد تحدث، حتى لا يتعرض التلميذ لأي هزة قد تفقده الثقة في المدرسة، فيلجأ إلى التحايل والغش للتعويض عما قد يعانیه من نقص أو عدم مجاراته لزملائه الأسوياء.

5- توحيد جهود المدرسة والبيت في تنمية الوازع العلمي والخلقي والديني لدى التلاميذ، وتبصيرهم بأن الغش ما هو إلا سرقة لحقوق الآخرين، وتمرد على النظام، وأن الذي يغش في الامتحان الآن سيكون غشاشاً في سواه عندما يتقلد وظيفة أو تناط به مسئولية معينة.

6- اهتمام المدرسة والمعلمين بتوجيه التلاميذ إلى كيفية المذاكرة واستخدام الوسائل والطرق الصحيحة التي تسهل عليهم مراجعة دروسهم واستذكارها.

5-التأخر الدراسي Scholastic Backward

تعد مشكلة التأخر الدراسي من أبرز المشكلات التربوية التي تشغل بال الكثير من المربين والمعلمين والآباء، وتبرز خطورة هذه المشكلة إذا عرفنا أنه من بين كل مائة تلميذ يوجد ما يقرب من عشرين منهم متأخرين دراسياً، وإذا أهمل علاج هذه المشكلة فإن النتيجة ستكون ارتفاع أعداد المتأخرين دراسياً، واستفحال المشكلة، وبالتالي صعوبة إيجاد الحل.

والتأخر الدراسي « هو حالة تأخر أو نقص في التحصيل Under Achievement لأسباب عقلية أو جسمية أو اجتماعية أو انفعالية، بحيث تنخفض نسبة التحصيل دون المستوى العادي المتوسط بأكثر من انحرافين معياريين سالبين^(□)، وللأغراض التربوية يعرف التأخر الدراسي إجرائياً على أساس انخفاض الدرجات التي يحصل عليها التلميذ في الاختبارات الموضوعية في المواد الدراسية^(□)، أما المتخلف دراسياً فهو المتخلف تحصيلياً Under Achiever الذي يكون تحصيله الدراسي أقل من مستوى قدرته التحصيلية، أي: إن نسبة تحصيله تنخفض عن المتوسط ويكون بطيء التعلم Slow learner.

والتأخر الدراسي مشكلة متعددة الأبعاد، فهو مشكلة نفسية وتربوية واجتماعية يهتم بها علماء النفس والمربون والأخصائيون الاجتماعيون والآباء؛ لأن تأخر بعض التلاميذ دراسياً، وعجزهم عن مسايرة أقرانهم تحصيلياً قد يثير لديهم العديد من الاضطرابات النفسية ومظاهر السلوك غير السوي، وفضلاً عن ذلك فإن التأخر الدراسي ينعكس أثره اجتماعياً في صورة أموال تهدر بدون عائد يذكر، وكما يقول فروست وهوكس Frost and Hawkes فإن المتأخرين دراسياً يمثلون فاقداً في

(□) هدى عبد الحميد برادة، وحامد عبد السلام زهران (1974): التأخر الدراسي، دراسة كLINيكية لأسبابه في البيئة المصرية، القاهرة، عالم الكتب.

(□) محمد رياض عبد الخالق عزيزة (1975): دراسة مقارنة بين التلاميذ المتخلفين في التحصيل الدراسي وعلاقة ذلك بميولهم المهنية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس.

الطاقة البشرية ، مما يعطل نسبة كبيرة من الطاقات اللازمة لتطوير المجتمع (□) .

وإذا كان التأخر الدراسي مشكلة بصفة عامة؛ فهو مشكلة أساسية في المرحلة الابتدائية بصفة خاصة؛ وذلك لأنها المرحلة الأولى الإلزامية من مراحل التعليم التي تستوعب معظم الأطفال، فضلاً عن أن هذه المرحلة تمثل إحدى مراحل النمو النفسي المهمة.

ولقد لقيت هذه المشكلة اهتماماً عالمياً كبيراً في الأوساط العلمية والتربوية، وبدأ الاهتمام الجاد بها منذ مطلع القرن الحالي، وبالتحديد سنة 1904 ، حين طلبت السلطات التربوية الفرنسية من العالم الفرد بينيه Binet دراسة مشكلة التأخر الدراسي، ومنذ ذلك الوقت توالى البحوث وتزايد الاهتمام العالمي في الأوساط العلمية لدراسة هذه الظاهرة.

السمات الشخصية للمتخلف دراسياً:

هناك بعض السمات النفسية والجسمية الشائعة التي يمكن أن نلاحظها لدى غالبية المتخلفين دراسياً ، غير أن هناك سمة عامة مشتركة بينهم؛ ألا وهي ضعف قدراتهم العقلية المتعلقة بالذكاء، وقد قدم لنا كيمنت Clement (□) 99 سمة نفسية وجسمية للمتأخرين دراسياً، أن تارفر وهالاهان Tarver and Hallahan (□) اختصرا هذه السمات إلى إحدى عشرة سمة أكثر وضوحاً وشيوعاً بين المتأخرين دراسياً هي :

- 1- الحركات البدنية المفرطة .
- 2- ضعف الإدراك الحسي - حركي .
- 3- حركة اليدين أو الرجلين المتطرفة .

-
- (1) Frost J.L. and Hawkes, g.p. (1970) the Disadvantage child (2nd ed) Boston:Houghton. Mifflin.
 - (2) Clement S . D : (1966) Minimal Brain Dysfunction in children . washington D.C. U.S Depts of Health, Educiton and welfare.
 - (3) Tarver. s, and Hallahan , D.P (1976) :children with learning disabilities.columbos, ohio , charles e. Merrill.

- 4- اختلال التوازن أو التناسق الحركي - البصري.
- 5- عدم الانتباه والتركيز.
- 6- التهؤور.
- 7- ضعف الذاكرة والتفكير.
- 8- مشاكل تعليمية واضحة في القراءة أو الكتابة أو الرياضيات .
- 9- صعوبات في الكلام.
- 10- مشاكل في اللغة .
- 11- صعوبات في السيطرة التامة على حركات الجهاز العصبي.

تشخيص المتأخرين دراسياً :

من المهم أن نشير إلى أنه ليس كل تأخرٍ دراسيٍّ أو سوء تكييف يرجع إلى قدرة عقلية محدودة، أو إلى وجود تلميذٍ ما يتعثّر في دراسته ولا يستطيع أن يقرأ كما يقرأ الأطفال الآخرون، أو يهرب من المدرسة ، أو يحدث شغبًا، فهذه أدلة ليست قاطعة، ولا تقدم تشخيصًا دقيقًا، ولذلك فإن الأسلوب الصحيح والأفضل هو أن نفترض في البداية أن سبب التأخر يرجع إلى عامل - أو بعض العوامل - في البرنامج التعليمي المتبع بحيث يمكن التحكم فيه أو تعديله، كما يمكن إجراء اختبارات الذكاء أو عمل سجل تباعي لكل تلميذ؛ يدون فيه مدى تقدمه الدراسي، ويحتوي هذا السجل على معلومات شخصية تتعلق بالصحة العامة للتلميذ وصحة حواسه كالسمع والبصر، والعوامل البيئية التي تؤثر على تقدمه الدراسي مثل علاقته بالآخرين، والمدارس التي تنقل بينها، غياباته، علاقاته الأسرية مدى ثقته بنفسه ، مستوى التغذية، توتر الانفعالي .. إلخ.

ورغم الفائدة الجمة التي يقدمها هذا السجل في علاج التأخر الدراسي للتلميذ، غير أن الاختبارات تعد الطريقة الفضلى في علاج هذه المشكلة وهي :

(1) اختبارات الذكاء الجماعية : ويجب اختبار هذه الاختبارات قبل تطبيقها ،

بحيث نظمثن إلى أنها تحتوي على عناصر مشابهة تمامًا للتمارين المدرسية العادية التي يألفها التلميذ، وتكون تعليماتها سهلة ومفهومة ، أما الاختبارات التي تستخدم كلمات ومسائل ومشكلات غير طبيعية وغير منطقية فهي تسبب انفعالاً وارتباطاً للتلميذ المتأخر دراسياً، ولهذا فمن المستحسن استخدام الاختبارات التي تحتوي على رسومات وصور، خاصة مع التلاميذ الصغار الذين لم يكونوا قد تعلموا القراءة بشكل كافٍ لأداء الاختبارات اللفظية ، كما يفضل أن يعطى اختبارين مختلفين لكل تلميذ قبل إعطاء أي قرار أو تقدير لمقدرة التلميذ، فإذا كانت تقديراته في الاختبارين ثابتة ومتقاربة بدرجة معقولة - ويفضل ألا تتجاوز خمس درجات - فإن المتوسط يمكن أن يكون هو نسبة ذكاء التلميذ ، أما إذا تفاوتت درجات الاختبارين بأكثر من ذلك فإنه يتوجب مراجعة النتائج على أية تقديرات تتوافر لنا في اختبارات استيعاب القراءة أو الرياضيات، وأن نفترض أن التقدير الصحيح هو الذي يحصل عليه من اختبارات التحصيل هذه، ونفترض أن الدرجة الأعلى هي الصحيحة .

2) اختبارات الذكاء الفردية: وهذا النوع من اختبارات يحتاج إلى مشرفين مدربين تدريباً جيداً، ويقتصر إجراؤه على التلاميذ الذين نشك في نتائجهم التي حصلوا عليها من الاختبارات الجماعية، وهذه الاختبارات تحتاج إلى وقت طويل لإجرائها، كما أنها ليست متاحة دائماً لعدم توفر من يشرف عليها، ويقوم بها، فضلاً عن أنها مكلفة مادياً، غير أن نتائجها تكون أفضل من اختبارات الذكاء الجماعية ويمكن التعويل عليها.

أسباب التأخر الدراسي :

أولاً: الأسباب الذاتية المتعلقة بالطفل: وتتضمن:

1- الأسباب العقلية: حيث يعد ضعف الذكاء من أكثر العوامل ارتباطاً بالتأخر الدراسي، فحينما يكون ذكاء الطفل دون المتوسط بكثير فإن هذا العامل يكون في الغالب كافياً لتعطيله عن التحصيل لمستوى معقول في العمل المدرسي،

وهذا الضعف في الذكاء العام قد يرجع إلى ما ورثه الطفل من قدرة عقلية ضعيفة أو محدودة، وبسبب من هذا الضعف أو القصور في الذكاء والقدرات العقلية فإن الطفل يصاب بتشتت الانتباه وعدم القدرة على التركيز، وضعف الذاكرة، وهروب الأفكار، واضطراب الفهم، وضعف التحصيل، وقلة الاهتمام بالدراسة، وبالتالي تأخره دراسياً وتخلفه عن أقرانه.

2- الأسباب الجسمية : المقصود بها اختلال وظائف النمو الفسيولوجية التي تنظم عملية النمو عند الطفل، وتحدد سلوكه الجسمي، حيث إن لها تأثيراً فعالاً على الوظائف الذهنية، فحدوث خلل في أحد أعضاء الجسم أو حواسه سينعكس على تفكير الطفل وسلوكه فيتأخر دراسياً، وقد يكون من الأسباب الجسمية التي تسهم في خلق هذه المشكلة أيضاً هو ضعف الصحة العامة، أو الإصابة ببعض الأمراض المزمنة، أو الاضطرابات في إفرازات الغدد الصماء، أو ضعف البصر وطوله أو قصره، أو الإصابة بعمى الألوان، أو ضعف السمع، أو اضطرابات جهاز الكلام أو اعتلاله، وما يترتب عليه من شعور بالنقص، أو إجبار الطفل الأعرس على استخدام يده اليمنى بدلاً من يده اليسرى بالقوة .

3- الأسباب الانفعالية: وتتضمن هذه الأسباب شعور الطفل بالنقص وضعف الثقة بالنفس، وسوء التوافق العام، والإحباط، وعدم الاتزان الانفعالي، والقلق، والحجل، والخوف من مواجهة المواقف التعليمية المختلفة .

ثانياً: الأسباب المدرسية :

وهذه الأسباب تتعلق بكل ما يتصل بالمدرسة من قوى بشرية تتمثل في إدارة المدرسة، وهيئات التدريس، والمناهج، والكتب، والعاملين والتلاميذ، وعدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ من قبل بعض المعلمين، إما بسبب ضعف تأهيلهم التربوي، أو بسبب سوء توزيع التلاميذ على الصفوف دون مراعاة للتجانس والتناسق في التوزيع، كما أن للمواد الدراسية دوراً مهماً في تأخر التلاميذ دراسياً عندما تكون بعيدة عن الواقع وغير متناسبة مع أعمار التلاميذ ومستويات

إدراكهم، يضاف إلى ذلك طرائق التدريس العقيمة التي تبعث على الملل والنفور؛ ويأخذ النظام المدرسي الصارم حصته في إبراز هذه المشكلة؛ بحيث يبعث على عدم مواظبة التلاميذ على الحضور وهروبهم من المدرسة ومن أجوائها الصارمة، ولا ننس هنا أيضا الأساليب الامتحانية التي يتبعها بعض المعلمين والإدارات المدرسية وما يرافقها من أساليب إرهابية مخيفة تدفع التلميذ إلى الهروب والتخلص من أسارها؛ وأخيراً لا بد من القول أيضا بأن ازدحام الجدول الدراسي بالمواد النظرية وخلوه من ساعات النشاط الحر - سواء كان رياضياً أم فنياً، أو أي نشاط ترفيهيٍّ آخر - قد يدفع التلاميذ إلى الهروب من المدرسة ومن موادها الدراسية بحثاً عن نشاطات أكثر إمتاعاً وبهجة لهم، يصنعونها ويمارسونها بأنفسهم دونما حفظ أو إكراه أو نظام.

ثالثاً: الأسباب الأسرية:

وتشتمل هذه الأسباب على العلاقات الأسرية السائدة في منزل التلميذ، فإذا كانت هذه العلاقات مضطربة بسبب الخلافات والمشاحنات بين الأم والأب، أو أن الأبوين يفرقان بين أطفالهما في المعاملة؛ فإن ذلك سيكون مدعاة لخلق جوٍّ من القلق والاضطراب الذي يؤثر بالتأكيد على حياة التلميذ المدرسية، ويؤدي به إلى التأخر الدراسي، كما أن الطفل الذي ينشأ في أسرة جاهلة لا تهتم بمسيرته الدراسية، ولا تهيب له الأجواء الملائمة للاستذكار وأداء الواجبات المدرسية كما ينبغي، سوف تُسهم - دون قصدٍ - في خلق هذه المشكلة التربوية لدى الطفل، كما يمكن أن يضاف إلى هذه الأسباب أسبابٌ أخرى مثل: الأساليب التربوية الخاطئة التي يتبعها بعض الآباء في تربية أبنائهم، واللامبالاة، وعدم الاهتمام بالتحصيل، وارتفاع مستوى الطموح لدى الوالدين بشكل لا يتناسب مع قدرات التلميذ وإمكانياته، والظروف الاقتصادية الصعبة للأسرة، وعدم تنظيم مواعيد المذاكرة والنوم، وعدم متابعة الأسرة لطفلها في المدرسة، ومتابعة مسيرته الدراسية بشكل مباشر، والظروف السكنية السيئة، وحجم الأسرة.

علاج التأخر الدراسي :

مثلاً كانت أسباب التأخر الدراسي كثيرة ومتشعبة ، فإن وسائل العلاج هي الأخرى تكون كثيرة ، وتتضافر فيها جهود أطراف عديدة للحد من هذه المشكلة التربوية ، ويمكن أن نصنف هذا العلاج وفق الأسس الآتية:

أ) العلاج التربوي : يتضح من التسمية أن هذا العلاج يفترض أن تقوم به المدرسة أو المؤسسات التربوية الأخرى التي تنتمي إليها أو تتصل بها كالإرشاد التربوي والمهني والتعليم العلاجي، وفي هذا الصدد يقدم لنا يسلدايك وسالفيا (1) Yesseldyke and Salvia طريقتين رئيسيتين لعلاج التأخر الدراسي هما :

1- تدريب القابلية : وهذه الطريقة تعتمد على ملاحظة أداء المتأخرين دراسياً للفعاليات التعليمية اليومية التي يقوم بها، ومن ثم تشخيص نقاط الضعف والعجز، وتوضع التعليمات الخاصة بتوجيه الفعاليات عند المتأخرين دراسياً لعلاج تأخره وتحسين أدائه وإنجازه بصورة أفضل.

2- تدريب المهارة : وتشتمل على تعريف السلوك المطلوب تعليمه بصورة واضحة ثم تحليل المهارة الواحدة وتبسيطها إلى أجزاء صغيرة ، ويطلب من المتأخر دراسياً أن يتعلم جزءاً واحداً في وقت واحد، وتكون طريقة التعليم هذه مباشرة وفردية مع التكرار لمرات عديدة ، تليها مرحلة القياس والتقويم من قبل المعلم للمحافظة على تحسن أداء المتأخر دراسياً وتقييم التعليمات.

وباعتقادنا أن هاتين الطريقتين ليس من السهل تطبيقهما في مدارسنا، لعدم وجود العدد الكافي من الاختصاصيين في هذا المجال، ولعدم وجود برامج يمكن أن يهتدي بها من يريد القيام بهذه المهمة ، وعليه فبالإمكان تقديم وسائل أخرى أيسر منها يستطيع المعلم القيام بها لعلاج تلاميذه المتأخرين دراسياً منها :

1- الاهتمام بالفروق الفردية بين التلاميذ ، وهذا الموضوع تتبناه الإدارة المدرسية قبل المعلم، وذلك من خلال التوزيع المتجانس للتلاميذ في الصفوف،

(1) yesseldyke, J.E and salvia J (1974): Diagnostic Prescriptive teaching: two models Exceptional children p.181 -186.

بحيث تراعي قدر الإمكان عوامل الذكاء والعمر ومستوى التحصيل، ثم يأتي بعد ذلك دور المعلم الذي يراعي هو الآخر مبدأ الفروق الفردية من خلال اهتمامه بتلاميذه بشكل يوفر لهم أقصى درجات النمو العقلي والتحصيلي بشكل متكافئ.

2- فتح صفوف خاصة للمتأخرين دراسياً، كما يفضل أن تفتح مدارس خاصة بهم أيضاً، حيث إن ذلك قد يكون وسيلة فعالة لعلاج هؤلاء التلاميذ، كما أنه يسهل عمل المعلمين، حيث إن هذه الصفوف سيكون لها برامج وخطط وطرق تدريسية خاصة تتناسب مع مستويات ذكائهم وقدراتهم التحصيلية، فضلاً عن أن التعليم الجمعي لتلاميذ في مستوى واحد ومتجانس أدعى إلى النجاح من صفوف لا تراعي هذه المسألة.

وتوابعاً مع هذه النقطة فإن الأمر يدعو إلى التفكير بتهيئة معلمين قادرين على قيادة وتعليم مثل هؤلاء التلاميذ يتم إعدادهم في معاهد خاصة؛ وكعلاج سريع يمكن فتح دورات تدريبية للمعلمين الموجودين في الخدمة حالياً ويرغبون العمل بمثل هذه الصفوف والمدارس، مع توفير المحفزات المادية والمعنوية التي تدفعهم لذلك.

3- يجب أن تهتم المدرسة بالامتحانات، وتعيد النظر باستمرار في الأساليب والإجراءات الامتحانية المعتمدة فيها بقصد خلق جو من الأمن والطمأنينة من رهبة الامتحانات التي يعاني منها التلاميذ.

4- كما يتطلب من الإدارة المدرسية أيضاً أن تتابع الطرائق التدريسية التي يستخدمها المعلمون داخل المدرسة، ومدى تناسبها مع قدرات التلاميذ في السن والمرحلة، وهذا يتطلب أيضاً أن تكون العلاقة السائدة بين الإدارة والتلاميذ، علاقة ديمقراطية؛ تسمح لهم أن يدلوا بأرائهم ومقترحاتهم وشكاواهم من المواد التي يعانون منها.

5- تحقيق أقصى وسائل الاتصال بين المدرسة ومنزل التلميذ، وبما يوفر صيغاً تربوية يتم من خلالها تدارس مشكلات التلاميذ التربوية وأسباب تأخرهم الدراسي.

6- توفير الأجواء التربوية والاجتماعية المناسبة للتلاميذ داخل المدرسة، كي يشبعوا حاجاتهم ورغباتهم بما يتفق وميولهم وهواياتهم، وتشجيع الألفة بينهم وبين مدرستهم التي توفر لهم ما يطمحون إليه.

7- وقد تكون بعض الأسباب التربوية للتأخر الدراسي متداخلة مع بعضها مثل قسوة بعض المعلمين أو النظام المدرسي الصارم، أو خوف التلميذ من أقران له يعتدون عليه ولا توفر المدرسة الحماية له منهم، أو كره التلميذ لمعلم معين بسبب صعوبة مادته وعقم طريقته، وعدم مراعاته لمستويات تلاميذه.. إلخ، وهذا يستدعي أن تدرس هذه الأسباب، ومن ثم وضع الحلول المناسبة لكل حالة.

ب) العلاج النفسي: ولعل أبسط أنواع هذا العلاج هو ما يمكن أن يقوم به المرشد التربوي والنفسي في المدرسة، حيث يقيم بينه وبين التلميذ المتأخر دراسياً علاقة علاجية، تأتي ثمارها فيما بعد، لاسيما إذا استطاع أن يتصل بأسرة هذا التلميذ ويرشدها إلى كيفية مساعدته على محو أعراض تأخره وتنمية قدراته ومهاراته وتشجيعه وتعليمه على كيفية تعديل سلوكه ذاتياً.

وهناك وسيلة أخرى يمكن الاستفادة منها في علاج التأخر الدراسي، وذلك بافتتاح مراكز لعلاج التلاميذ الضعاف في الهجاء أو القراءة والحساب، وغيرها من المواد الدراسية، حيث يرسل التلميذ إلى المركز كل يوم لمدة ساعة، ثم يقوم أخصائي بدراسة حالته وعلاجها بعد تدريب فردي لمدة وجيزة، كما أن هناك أسلوباً متقدماً آخر هو العيادات التربوية والنفسية التي يجب أن يشرف عليها متخصصون في هذا الجانب، فإذا كان التأخر الدراسي بسبب انحرافات وجدانية أو عوامل نفسية أو مشكلات تتعلق بالسلوك أمكن الالتجاء إلى مثل هذه العيادات.

ج) العلاج الطبي: هناك قول يتضمن هذا الجانب، مؤداه: " ليس هناك أطفال كُسالى، وإنما هناك أطفال مرضى".

فالمرض يولد الكسل والتراخي والإهمال، بينما ينتج عن الصحة التكيف السليم نحو الذات، ونحو المدرسة، والمقصود بالعلاج الطبي هنا أن يشتمل على

الرعاية الصحية الكاملة للتلميذ، بدءاً بالصحة الجسمية العامة واللياقة البدنية والعقلية، ومروراً بصحة وسلامة حواسه، ولاسيما حاستي البصر والسمع، وأمراض جهاز الكلام العضوية، وهذه بالتأكيد تتجاوز مهمات الأسرة والمدرسة، وتستوجب عرض التلميذ على المختصين من الأطباء.

(د) العلاج الاجتماعي: يعد العلاج الاجتماعي ضرورياً للتأخر الدراسي، وقد أدخل كثير من رجال التربية بمدارسهم بعض النظم للخدمة الاجتماعية؛ لأنهم يرون أن من واجبات المدرسة أن تبذل كل جهد للتأثير على الوالدين أو غيرهما ليوفروا للتلميذ المتأخر أسباب الحياة المطلوبة، كما أن من أولى مهمات العلاج الاجتماعي هي تدعيم الصلة بين منزل التلميذ المتأخر دراسياً وبين دراسته بمختلف الوسائل المتاحة، ومحاولته تحسين مستوى التوافق الأسري والاجتماعي له.

* * *

6- الهروب من المدرسة Truancy

ظاهرة الهروب من المدرسة ظاهرة مألوفة لدى بعض التلاميذ في المدرسة الابتدائية ، وقد يكون الهروب من المدرسة كلياً بشكل عزوف تام عنها، أو أنه هروب من بعض حصصها ودروسها باستخدام أساليب وحيل مختلفة يبتكرها الطفل الهارب ليوحي للآخرين بأنه ينتظم بشكل أصولي بالمدرسة، وقد تأخذ صيغة التمرد والعصيان التام حينما يعلن الطفل كرهه للمدرسة، وعدم رغبته بالذهاب إليها، والتصريح علانية بأنه سيهرب منها إذا ما مورس أي ضغط عليه للانتظام فيها.

وحالة الهروب من المدرسة قد تشمل طفلاً واحداً يكره المدرسة ، ولا يريد أن يلزم نفسه بقوانينها وأنظمتها، أو ربما تأخذ صيغة جماعية؛ حيث يتفق مجموعة من الأطفال على عدم الذهاب إلى المدرسة، ويقوم بعملية الاستقطاب للمجموعة أكبرهم سنّاً وأقدمهم في المدرسة، حيث يطرح عليهم فكرة تتعلق بمشاهدة مباراة لكرة القدم، أو التجول في الشوارع والأسواق، أو الذهاب إلى السينما مثلاً، أو إقناعهم بأي فكرة يستطيع من خلالها جمعهم على شكل زمرة متمردة يتزعمها ويقودها بعيداً عن المدرسة .

وفي الغالب فإن الأطفال الهاربين لا تقل أعمارهم عن عشر سنوات؛ لأن الأطفال في أعمار دون هذه السن يخشون الاندفاع في مثل هذه المغامرة بسبب نقص الخبرة وعدم القدرة على التدبر في المواقف الصعبة ، وعلى العموم فإن الطفل الهارب من المدرسة هو طفل يتميز في الغالب بتدني المستوى العلمي، وضعف التحصيل الدراسي قياساً بأقرانه الآخرين، وربما يعاني من اضطراب سلوكي وانفعالي ، لهذا يصبح مثل هذا الطفل عرضة للأخطار والمزالق والإغراءات التي قد تدفعه للجنوح والانحراف السلوكي واضطرابات الانفعالية المختلفة ، وباختصار يمكننا أن نجمل الأضرار المترتبة على هروب الطفل من المدرسة فيما يأتي :

1- إن الهروب من المدرسة وعدم إتمامها يعني عدم التحاق الطفل بمراحل

التعليم التالية، وبالتالي انضمامه إلى صفوف العاطلين أو المتشردين والمنحرفين، أو على أقل تقدير انضمامه إلى صفوف الأميين.

2- إن الهروب من المدرسة وعدم الاستمرار ومواصلة التعليم فيها يعد في العرف التربوي إهدارًا وفاقداً تعليمياً لا يمكن تعويضه.

3- إن هروب الطفل من المدرسة - ولأي سبب كان - يعني هيامه على وجهه دونها هدف معين، وهذا يعني أنه سيكون عرضة لأخطار كثيرة وانحرافات خطيرة، ستكون دافعاً كبيراً له لممارسة الكذب والسرقة والتدخين والتخريب والتدمير والقسوة والاعتداء على الآخرين، وربما الانخراط في عصابات شاذة خلقياً وسلوكياً تقوده إلى غايات سيئة وأهداف مهلكة.

أسباب الهروب من المدرسة :

هناك أسباب عديدة تدفع الطفل للهروب من المدرسة، منها ما هو متعلق بالطفل نفسه، ومنها ما له علاقة بأسرته، ومنها ما يتعلق بالمدرسة والنظام التعليمي فيها، وسوف نقدم كل واحدة منها فيما يأتي :

أولاً: الأسباب المتعلقة بالطفل (الأسباب الشخصية) :

1- إحساس الطفل بأن التعليم لا يلبي حاجاته الشخصية، ولا ينمي فيه المهارات والميول والهوايات التي يجبها.

2- عدم توافر النضج الكافي للتعلم لدى بعض الأطفال عند دخولهم المدرسة الابتدائية، والمقصود هنا هو المستوى المطلوب من النضج الاجتماعي والنفسي والعقلي والجسمي.

3- تأثير رفاق السوء على الطفل، سواء كان هذا التأثير عن طريق التشجيع على ترك المدرسة، أو بالامتناع أو بالتهديد أو أية إغراءات أخرى.

4- وقد يهرب بعض الأطفال من المدرسة بدافع السعي للمغامرة وحب الاستطلاع والبحث عن الخبرات الجديدة خارج بيئة الأسرة أو المدرسة .

ثانياً: الأسباب الأسرية:

- 1- عدم إيمان الوالدين بقيمة التعليم ومتابعة أطفالهم في المدرسة متابعة جادة ومتواصلة، حيث إن المدرسة وحدها لا يمكن أن تؤدي رسالتها بالشكل المطلوب إذا لم تكن الأسرة متعاونة معها في متابعة المسيرة الدراسية للطفل.
- 2- وقوع بعض الأسر في خطأ عقد المقارنات بين الطفل أو إخواته وأقرانه من المتفوقين؛ مما يشعره بالعجز والفشل وفقدان الثقة بالنفس، وبالتالي كره المدرسة التي أصبحت - كما يتصور - السبب في كل معاناته هذه.
- 3- استخدام الشدة والعقاب، وإرغام الطفل على التحصيل ومحاسبته عندما لا يحقق النتائج التي يأملها الوالدان منه، كل ذلك يجعله يكره المدرسة وينفر منها، ويصبح اتجاهه سلبياً نحوها، فيتركها ويهرب منها.
- 4- الأجواء العائلية المشحونة بالمشكلات والخلافات الدائمة قد تدفع الطفل إلى الهرب من المدرسة كنوع من الاحتجاج أو التمرد والعصيان على كل ما من شأنه أن ينغص عليه حياته ويجعله في قلق وخوف دائمين.

ثالثاً: الأسباب المدرسية:

- 1- شعور الطفل بعدم الحب والتقدير من زملائه ومعلميه ومدرسته.
- 2- طريقة معاملة الطفل في المدرسة من قبل معلميه؛ وإحساسه بفقدان الأمن والظلم والاضطهاد وعدم العدالة.
- 3- صعوبة تقبل الطفل للمدرسة ولمناهجها وطرق تدريسها، وإحساسه بعدم تناسبها مع قدراته واهتماماته وحاجاته.
- 4- عدم مراعاة المدرسة للفروق بين الأطفال لاسيما في الجوانب اللغوية والتعبيرية والانفعالية والعقلية.
- 5- عدم قدرة المدرسة والمعلم بشكل خاص على جذب اهتمام الطفل وتشويقه لعملية التعليم.

6- عدم تلاؤم وارتباط المناهج وأساليب التدريس مع حاجات الطفل بشكل يراعي قدراته الخاصة ويبني شخصيته.

7- الفشل الدراسي والرسوب المتكرر يجعلان الطفل غير راضٍ عن نفسه فاقداً للثقة بها، مع شعوره بالنقص وعدم الكفاية.

8- كثرة الواجبات المدرسية المطلوبة من الطفل، والمكلف بإنجازها بعد عودته من المدرسة إلى البيت والتي قد تكون سبباً في حرمانه من اللعب مع أقرانه، أو في ممارسة هواياته بعد الدوام المدرسي، وتزداد وطأة هذه الواجبات عندما تقترن بالعقوبة من قبل المعلم أو النظام المدرسي.

علاج الهروب من المدرسة:

مثلاً كانت مسببات الهرب من المدرسة، شخصية وأسرية ومدرسية، فإن المفروض أن يشتمل العلاج الذي نوصي به على هذه الأطراف الثلاثة أيضاً؛ وحيث إن الموضوع الذي نحن بصدد تناوله الطفل الذي يهرب من المدرسة، ولذلك فلا جدوى من أن نقدم وسائل علاجية موجهة للطفل، يقوم هو بدور فيها، وستقتصر توصياتنا العلاجية على الأسرة والمدرسة:

أولاً: الأسرة:

1- يجب أن تتأكد الأسرة من توافر النضج الكافي لطفلها، فعدم النضج سيفقد الطفل القدرة على التعلم، وهذا يعني احتمال حدوث تخلف أو تأخر دراسي، ومن ثم كراهية للمدرسة يتبعها هروب منها؛ ويمكن أن نضيف إلى هذا أيضاً ضرورة أن تتأكد الأسرة من سلامة الطفل صحياً وعقلياً، مع توفر الشروط اللازمة لتكيفه النفسي والاجتماعي قبل إدخاله المدرسة.

2- الحذر من مقارنة الطفل بطفل آخر في أسرته أو من أقرانه أفضل منه دراسياً؛ كيلا يشعر بالدونية والإحباط والفشل والعجز عن مواصلة الدراسة.

3- حث الطفل وتشجيعه على أن يختار له من بين زملاءه في المدرسة أصدقاء يمكن أن يدعوهم إلى المنزل بعد عودته من المدرسة، وفي بعض المناسبات السعيدة الخاصة به، فالطفل يتعلق بالمدرسة التي تهيب له مثل هذه الصداقات.

4- توفير الأجواء الأسرية الهادئة التي يشعر معها الطفل بالأمان والاستقرار النفسي والدفء العائلي؛ ليتجه إلى دراسته ويهتم بعمله المدرسي برغبة واندفاع.

ثانياً: المدرسة:

1- يجب أن تهيب المدرسة إمكاناتها ومناهجها وطرائقها التدريسية بما يشجع الأطفال على الاستمرار في الدراسة والتشوق لها.

2- معاملة المعلمين الحسنة للأطفال دونما تحيز أو مزاجية، وبما يساعدهم على تقبل الوسط المدرسي، ويكسبهم خبرات معرفية ومهارية متنوعة .

3- اهتمام إدارات المدارس بتهيئة الأجواء الصحية، وتوفير الجو الملائم لمعالجة مشكلات الطفل النفسية والدراسية بالأساليب الديمقراطية في التعامل، والتحرر من الأساليب التقليدية في الإدارة والإشراف.

4- يجب أن تفتح المدرسة على أسر التلاميذ، وتشجعهم للتعاون معها باعتبارها امتداداً لجهودهم في المنزل، وهذا يتطلب أيضاً الاهتمام بمجالس الآباء والمعلمين، والحرص على عقد ها بشكل منتظم ومدروس.

5- الاهتمام بالأنشطة الصيفية واللجان المختلفة التي تستقطب التلاميذ في نشاطاتها وصبّ جهودهم واهتماماتهم فيها.

6- الاهتمام بسجلات الحضور والغياب؛ لأنها تعطي الصورة الواضحة عن مسيرة الطفل في المدرسة وانتظامه فيها، كما أنها تقدم للمعلم تصوّراً واضحاً يساعده في العلاج قبل استفحال الأمر.

7- من الضروري جداً أن يكون المعلم مراعيًا ومدركًا للفروق الفردية لتلاميذه، وأن يكون قادرًا على تهيئة الفرص المتكافئة لكل طفل للنمو ولحسب الخبرات بما يتناسب وقدراته واستعداداته وميوله.

8- تخفيف الواجبات المنزلية قدر الإمكان، وجعلها واجبات من أجل التمرين والتدريب، لا من أجل النجاح والرسوب، وألا ترتبط بالدرجات والعقاب.

7- الجنوح Delinquency

الجنوح ظاهرة اجتماعية موجودة في كل المجتمعات، وتشتمل على المخالفات والتجاوزات التي يرتكبها الصغار والأحداث ضد القوانين والأعراف والنظم الاجتماعية السائدة عمدًا أو سهوًا، ولعل من أبرز هذه الممارسات الضارة التي يرتكبها هؤلاء الجانحون هي السرقة والرغبة في إيذاء الآخرين، والهروب أو التغيب عن المدرسة، ومخالفة القوانين، والفرار من المنزل، وهذه الممارسات قد يكون مردّها الحيوية المتدفقة لهؤلاء الأحداث، وقلة الخبرة، وروح اللهو والعبث والانقياد التلقائي للمنافع واللذات، وعدم تقدير نتائج أفعالهم تقديرًا حسنًا وسليمًا، لهذا نجد أن بعض الجانحين حينما يتورطون بفعل من هذا النوع فإنهم قد لا يعودون إلى فعله ثانية، فقد أشارت معظم الدراسات التي تناولت الجنوح إلى أن نصف الجانحين لأول مرة لا يعودون إلى هذه الأفعال ثانية، وهذا مؤشر جيد على إمكانية الإصلاح وإعادة الحدث إلى جادة الصواب.

وهناك عوامل أخرى كثيرة تتضافر فيما بينها وتدفع الحدث للجنوح، فقد اتفقت أغلب الدراسات على أن أغلب الجانحين هم من الطبقات الفقيرة والأحياء المزدحمة، وهم خريجوا بيوت مفككة Broken Homes وعوائل بائسة، تتنازعها المشاكل والتوترات، والتخلف الاجتماعي، وهذا الكلام لا يبرئ بعضًا من أبناء العوائل المرفّهة والغنية ممن ينزلقون في مهاوي الجنوح، إلا أن نسبة هؤلاء أقل من غيرهم؛ لأنهم كما يبدو يمتلكون وسائل وأساليب عديدة يستطيعون من خلالها إبعاد نظرات الشك عنهم، ولديهم القدرة على تمويه مخالفاتهم؛ أما الجانحون القادمون من عوائل مهدامة فتدفعهم لارتكاب الخطأ والجنوح عوامل كثيرة، فقد يقومون بذلك كرد فعل لا شعوري لما تعرضوا له في طفولتهم المبكرة من ضغط سلبهم حريتهم وطفولتهم وبراءتهم، فالحدث عندما يجد أنه قد أصبح بمقدوره أن يمتنع ويقاوم فإنه يفعل ذلك، فهي عملية إثبات للذات المقهورة من خلال نشدانه للاستقلال الذاتي، وذلك بتحقيق حاجاته وإرضائها بنفسه، فهو سريع الاندفاع،

سهل الاحتواء والإغراء والتقبل لعوامل الإيحاء؛ وقد يكون لانخفاض المستوى التعليمي والتربوي للجناح دور في اندفاعه وتهوره، فقد أظهرت إحدى الدراسات⁽¹⁾ أن 85% من الجانحين كانوا متخلفين في دراستهم، ورغم ذلك فإن بعضهم يمتلك القدرة على القيادة والزعامة، ولديه القدرة على عقد الصداقات بسهولة ويسر، كما أنهم يبدون سعادة في المشاركة بالفعاليات الاجتماعية، ولديهم القدرة على الانسجام مع الآخرين، فضلاً عن أنهم ميالون للتغيير والاستشارة ويمثلون الحياة الرتيبة اليومية، ويكرهون قواعد الضبط.

وعلى العموم فإن مشكلة الجنوح هي مشكلة عالمية، لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، لا بل إنها في ازدياد رغم الجهود التي تبذل لمعالجتها، كما هو الحال مثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية، فالإحصائيات تشير إلى تفاقم الجريمة وتناميها هناك لدى الأحداث بشكل مذهل، وحكومات هذه البلدان ترصد مبالغ ضخمة جداً لمكافحةها، وهناك دراسات وأبحاث كثيرة جداً تناولت هذا الموضوع بمختلف أبعاده، وأبرزت آثاره الخطيرة على هذه المجتمعات، وقدمت العشرات من البدائل والحلول، لكنها ما زالت ظاهرة تتسع وتتفاقم، ولعل المعطيات الحضارية في هذه الدول قد أسهمت بشكل كبير في طغيانها وانتشارها.

أسباب الجنوح:

أسباب الجنوح كثيرة ومتشابهة ومتداخلة ومعقدة، وهذه الحقيقة أكدها سيرل بيرت Cyril Burt منذ أكثر من ستين عاماً، لكن أغلب الباحثين اتفقوا على أن هناك عوامل أساسية عامة يمكن أن تندرج تحت كل عامل منها عوامل فرعية أخرى، وسوف نقوم بعرض هذه العوامل المسببة للجنوح على شكل نقاط توخياً لعدم الإطالة والاسترسال الذي قد يوحى للقارئ الكريم بأهمية عامل على آخر.

(1) S.S Gluck and E.T Gluck (1979): one Thousand Juvenile Delinquents. Harvard University press p.341

أولاً: العوامل البيولوجية:

1- الخصائص التكوينية: وهذا اتجاه قاده عالم الإجرام الإيطالي لومبروزو C.Lombroso ومؤداه أن المجرمين والمنحرفين يمتلكون سمات وتقاطيع وسحنة خاصة بهم، وقد حدد كل ذلك بجداول وشروحات ومواصفات معينة، وراح يخضع المفحوصين وفقاً لها، إلا أن هذه النظرية ثبت بطلانها وخللها؛ لأن بعضاً ممن تنطبق عليهم هذه المواصفات كانوا من الطلبة الجامعيين ورجال الدين والناس الأبرياء.

2- تخطيط الدماغ: أشارت بعض البحوث الحديثة إلى أن الذبذبات الدماغية للجانحين لا تتلاءم مع أعمارهم، كما أن لدى البعض منهم ذبذبات دماغية تشبه الهبّات الصرعية رغم عدم وجود الصرع لديهم.

3- الأمراض العضوية: ويقصد بها بعض العاهات البدنية والصرع الذي يعد الأساس في السلوك الاندفاعي نحو اللذة، أو نحو النكوص الطفولي، وقد يكون لبعض الأدوية المستخدمة للسيطرة على نوبات الصرع مثل عقار الباربيجوريت Barbiturates أثر في اضطراب السلوك والإفراط في الحركة وعدم الاستقرار والتهيج، ومن الأمراض الأخرى التي قد يكون لها دور في ظهور الجنوح هو الأذى أو التهتك الذي يحصل في أغشية الدماغ أثناء عملية الولادة، أو الذي يحصل نتيجة صدمة على الرأس.

4- اختلالات الغدد الصماء: وهذه العدد لها أهمية كبيرة في سلوك الفرد حتى إن بعض العلماء يسميها غدد الشخصية Personality Glands، أو غدد المصير، وقد وجد كينبرج (Keinberge) ⁽¹⁾ بعد فحصه عدداً كبيراً من المجرمين في سجون إيطاليا وبعض بلدان أوروبا أن هؤلاء المجرمين يتفشى فيهم عدم انتظام وظائف الغدة النخامية Pituitary gland، أو أن السبب يعود إلى القصور الوظيفي في نشاط الغدد الجنسية، أو إلى النشاط الزائد في إفرازات الغدة الكظرية، وقد أشارت

(1) Keinberge, K.T, (1980) : chronicle problemes of juvenile Delinquency London : Allen and Unwin ltd p.122

بعض الدراسات إلى أن اللصوص وقطاع الطرق والنشالين يعانون من خمول في النشاط الوظيفي للغدة النخامية ، وعدم الانتظام الوظيفي في إفراز الغدة الدرقية . Thyroid Gland

ثانياً : العوامل النفسية :

1- التخلف النفسي أو الشخصية السيكوباتية^(□) وصاحب هذه الشخصية هو فرد غير واضح انفعالياً، اندفاعي ، لا يدرك أو يهتم بنتائج الأفعال التي يقوم بها، ولا يتقبل النصح والإرشاد، ولا يقيم وزناً للأنظمة والأعراف الاجتماعية والقانونية، أناني ، متقلب المزاج، يُقدم على اقتراف جريمته دون أن يكون له هدف واضح، أو أنه يقدم عليه من أجل هدف تافه، والجناح السيكوباتي يستخدم العنف عندما تقتضي الضرورة حتى مع نفسه، فقد يقدم على الانتحار عندما تضيق به السبل، فضلاً عن استخدامه أسلوب المماطلة والتسويق، والتلفيق ، والتزوير واختلاق القصص الوهمية وتزييف الحقائق، والتحايل ، والمخادعة، واستخدام أسلوب الإقناع للإيقاع بالضحية.

2- العقد النفسية: وقد تنشأ لدى الجناح بسبب إحساسه بالنقص الناجم عن عاهة مستديمة في جسمه، أو انحطاط سمعته وسمعة عائلته، وحفظ الإحساسات المكبوتة في باطن لا شعوره التي تدفعه لتعويض هذا النقص بالقيام بعمل يعوض نقصه أو شعوره بالخزي ، وهذا يجعله في مصاف البارزين أو المتفوقين ، من وجهة نظره بالطبع.

3- الأمراض النفسية: وهي كثيرة ، غير أن أبرز هذه الأمراض التي يمكن أن تدفع الفرد للجنوح هي الهستيريا الوهمية أو التسلطية ، والوساوس القهرية والصراع النفسي والتوتر ، والقلق والإحباط والخبرات المؤلمة، والمفهوم السلبي للذات، والأزمات النفسية الحادة، والشعور بالنبذ وعدم التوافق مع الأقران، والعادات السيئة.

(□) الشخصية السيكوباتية Psychopathic Personality : شخصية مضطربة اضطراباً نفسياً، يتميز صاحبها بالفجاجة وعدم النضج الأخلاقي وقلة التبصر وسرعة الانفعال.

ثالثاً: العوامل الاجتماعية:

1- الأسرة: ونقصد بها العلاقات الأسرية المبنية على الشقاق والفرق والطلاق، وعدم الانسجام بين الزوجين، وشعور الأطفال بسبب ذلك بالإهمال والضياع، يضاف إلى ذلك أسلوب المعاملة الوالدية، إذ أثبتت كل الدراسات التي تناولت هذا الجانب أن الأسلوب التسلطي المبني على القسوة والإهمال والتذبذب في المعاملة والعقاب المستمر للأطفال من قبل آبائهم هو عامل مهم جداً يدفع الأطفال إلى ارتكاب أعمال اعتدائية ضد الآخرين، وإلى القيام بالسرقة والهروب من المنزل والتشرد، وتحدي النظام، ومحاولين بذلك تأكيد ذكورتهم وقدرتهم على القيام بما يمكن أن يقوم به الكبار.

وفي المقابل فإن الأسلوب المتساهل والإفراط في اللين، وضعف الضبط في الرقابة، واللامبالاة من قبل الوالدين، كل ذلك يدفع الطفل للجنوح؛ لأنه يجد نفسه في مأمن من الردع أو الحد لأي سلوك يرتكبه، ولعلنا لا ننسى الدور المهم للأم في الأسرة، والذي أضحي غائباً لدى نسبة كبيرة من الأسر بسبب دخولها ميدان العمل، وتحليلها عن بعض واجباتها العائلية، وخاصة تربية ورعاية أبنائها باعتبارها مصدر الدفء والحنان.

2- المدرسة:

أ- ضعف المستوى الدراسي والتحصيلي: لقد أثبتت الدراسات والأبحاث صلة الجنوح بتدني المستوى التحصيلي للجانح، فضعف المستوى الدراسي يقلق الجانح، ويشعره بفقدان الأمن والاستقرار والشعور بالذنب.

ب- النظام المدرسي الصارم: يدفع الطفل إلى اتخاذ موقف سلبي من المدرسة، ويملؤه بالحق والكراهية والتذمر والرفض لكل القيم والمثل والضوابط الاجتماعية والأخلاقية التي تنادي بها المدرسة.

ج- موقف بعض المعلمين السلبي من تلاميذهم، وعدم مراعاتهم للفروق الفردية بينهم، وعجزهم عن فهم ظروفهم النفسية والاجتماعية والصحية، وإطلاق

بعض الأحكام الجائرة عليهم، وتجردهم عن دورهم التربوي والأبوي وهم يتعاملون مع تلاميذهم.

د- مصاحبة التلاميذ المتأخرين دراسياً أو المشاكسين، والوقوع تحت حماية أحد التلاميذ الكبار الذي يفرض نفسه زعيماً أو قائداً لمجموعة من التلاميذ، ويملي عليهم أوامره، ويطلب منهم إمّا تنفيذها، وإمّا أن يبطش بهم، فيندفع الحدث اندفاعاً لا إرادياً وراء هذا (الزعيم) ويلبي أوامره ونواهيته رويداً رويداً، إلى أن يصبح جانحاً رسمياً.

3- ظروف السكن: إذ إن للمنطقة السكنية دوراً كبيراً في جنوح الحدث، فكلما كانت هذه المناطق مكتظة بالسكان ومزدحمة بالدور وذات مستوى صحي متدنٍ، وخالية من أماكن اللهو والتسلية البريئة؛ فإنها تسودها الفوضى الاجتماعية، ويكثر فيها النزوع نحو مخالفة القانون والجريمة، وعادة ما تكون هذه المناطق السكنية الموبوءة في أطراف المدن الكبيرة وضواحيها، فهي المركز الأول لاستقطاب النازحين من الريف إلى المدينة، لهذا نجد أن مظاهر الفوضى تكتنفها في كل مجال، كما أنها بؤرة للقاذورات والعلل الصحية والنفسية، فضلاً عن كونها أماكن مناسبة لترويح الإشاعات والأفكار التكتلية والعصية والعشائرية، وشيوع السلوك العدواني، وتدهور الحياة العامة وانحطاطها، وانتشار الفقر والمتعطلين عن العمل والخارجين عن القانون، فإذا ما عاش الحدث في بيئة كهذه فإن النتيجة المؤكدة التي سيؤول إليها مصيره هي الجنوح.

4- الهجرة: ونقصد بها الهجرة من الريف إلى المدينة، وما يترتب عليها من سحق للقيم الخلقية والعلاقات الوطيدة التي كانت تجمع أبناء الريف، وذلك بسبب اصطدامها بثقافة البيئة الجديدة (المدينة) وقيمها وعاداتها، إذ أن الفرد المهاجر يصبح مجبراً على التخلي عن الكثير من قيمه ليحس بالأمن والاستقرار، ولكي يتمكن من توفير عيشه، ويوجد لنفسه معارف وأصدقاء يتكيف معهم في بيئته الجديدة، إن هذه الهجرة وما يرافقها من صراعات قيمية وتنازلات عن بعضها سوف تولد لدى المهاجر شعوراً بالقلق والتوتر والحذر والشعور بالاعتراب، وهذا

سينسحب بالتبعية على أبنائه؛ فيولد لديهم تغيرات سريعة في مفاهيمهم ، ويجعلهم يندفعون نحو مغريات المدينة دونها وعي أو إدراك، وبالتالي الانزلاق في مهاوي الجنوح والجريمة.

5- وسائل الإعلام : لا خلاف أن لوسائل الإعلام أثرًا كبيرًا في دفع بعض الأحداث نحو الجنوح، لاسيما ما يعرض في دور السينما أو التلفاز من أفلام بوليسية تمجد العنف والجريمة، وتعلم الأحداث وسائل وأساليب التفنن في الجريمة وكيفية التحايل على النظام والتخلص من المآزق الخطيرة، وطرق استخدام أدوات ووسائل الجريمة ، ويفعل الكتاب والصحيفة والمجلة نفس فعل الفيلم إذا ما كان في متناول الحدث بشكل سهل وميسور، وكانت موضوعاتها مخربة للذوق والسلوك والآداب العامة.

وحيث إن الحديث في هذا المجال يتحمل الكثير من الكلام، فإننا سنكتفي بهذا القدر، لكننا سوف نتطرق إلى وسيلة إعلامية جديدة راحت تغزو كل بيت، تلك هي الدعاية التجارية المسموعة والمرئية في التلفاز، والتي تروج للملابس والأزياء والسيجار وأماكن اللهو والتسلية التي تجتذب الأحداث والمراهقين، والتي تتطلب أموالاً لتلبيتها والصرف عليها، والتي قد تكون سببا في دفع بعض الأحداث إلى اعتماد وسائل وحيل وخروقات قانونية مختلفة (سرقة أو عدوان) من أجل الحصول على الأموال اللازمة لتوفير هذه الرغبات.

رابعاً: أسباب عامة: ويمكن إجمالها في:

ضعف القيم والمعايير الاجتماعية التي يفترض أن يتعلمها الأبناء من الآباء، وافتقار بيئة الحدث إلى أماكن التسلية واللهو البريء وقضاء وقف الفراغ، والحاجة المادية، وضيق ذات اليد لدى الأسرة وعدم قدرتها على توفير احتياجات أبنائها، وسوء التربية الجنسية ، وحجم الأسرة الكبير بحيث لا يستطيع الحدث أن يأخذ دوره داخل الأسرة بشكل كامل، ولا يجد من يستمع إليه ويتفهم مشاكله ويسمع همومه، ويساعده في حل بعض معضلاته اليومية وإرهاصاته الشخصية، كلها

وغيرها قد تكون أسبابا دافعة لانحراف الحدث ووقوعه في حبائل الجريمة والانحراف.

الوقاية من الجنوح:

رأينا فيما تقدم أن هناك ظروفًا عديدة لا يمكن حصرها، تتضافر في تشكيل شخصية الحدث الجانح، وعليه فإن سبل الوقاية أيضًا تتعدد تبعًا لتعدد الظروف والأسباب، غير أننا يمكن أن نقدم وسائل وقائية رئيسية تندرج تحت كل منها ووسائل وقائية فرعية:

أولاً: الرعاية الأسرية والتربوية والاجتماعية:

1- تشديد القيود المفروضة على تعدد الزوجات إلا في الحالات التي تستوجب ذلك، وبشرط عدم التفريط بالأطفال وبرعايتهم، ويمكن أن يتم ذلك بتنشيط مكاتب الخدمة الاجتماعية في محاكم الأحوال الشخصية التي تدرس كل حالة، وترفع توصياتها للجهات الشرعية بالإذن في الزواج الثاني بعد إلزام الزوج بضمان حقوق أبنائه وعدم التفريط فيها بعد زواجه هذا.

2- فتح مكاتب للإرشاد الزواجي، يتم من خلالها تبصير الشباب المقدمين على الزواج وإرشادهم إلى المعايير القويمة لحسن اختيار الفرد لشريكه، ووسائل التفاهم الودّي، وسبل تدعيم الحياة الزوجية ووقايتها من المشكلات التي تسبب تفككها وتصدها.

3- أن تفرد وسائل الإعلام مساحات مناسبة وأوقات ملائمة؛ ليقدم من خلالها المختصون أحاديث وندوات وإرشادات حول العلاقات العائلية السليمة وسبل تجاوز المعضلات التي تواجه الأسرة، وكيفية تربية الأبناء والحرص عليهم ورعايتهم الرعاية السليمة المبنية على الود والتفاهم.

4- فرض عقوبات صارمة على الآباء الذين يهملون أبنائهم، أو يدفعونهم للتشرد والتسول ومخالطة سيئي السيرة، أو تعريضهم للانحراف الخلقي بدوافع مادية دنيئة ومشبوهة.

ثانياً: الرعاية المدرسية:

1- تجنب استخدام العقاب البدني والتوبيخ والتأنيب للتلاميذ المخطئين أمام مرأى ومسمع من زملائهم الآخرين بدعوى: (جعلهم عبرة لغيرهم لكي يسود النظام في المدرسة ويلتزم كل تلميذ بأداء واجباته المدرسية كما ينبغي). والمثل العربي القائل: (من أطاع عصاك فقد عصاك). هو مثل في غاية الروعة والعمق؛ لأن العصا التي نستخدمها في غير محلها ووقتها مع المخطئين إنما تؤجج في دواخلهم نوازع الحقد والعدوان والكراهية والانتقام بمجرد أن تتاح أمامهم الفرصة لفعل ذلك، وقديماً قال الفيلسوف اليوناني الشهير إيراسموس: "ثمة أطفال يفضلون أن يقتلوا على أن يعاقبوا ضرباً"، فيما يقول المربي الكبير كرشتون ميلر: "يعتقد الناس أحياناً بأن ضرراً كبيراً قد يصيب نمو التلاميذ العاطفي بسبب العقوبات البدنية، غير أنني أحب أن أقول من تجربتي الخاصة بأن الضرر الذي ينجم عن مدرس يسخر من التلاميذ ويهزأ بهم هو أشد فتكاً مما تسببه العصا" (□).

2- لقد أوضحت الظروف الراهنة وتعقيدات الحياة تملي على الدوائر التربوية المسؤولة أن تهتم اهتماماً جدياً بالخدمات النفسية والإرشاد التربوي في مختلف مراحل التعليم، ولاسيما التعليم الابتدائي والمتوسط باعتبار القاعدة الأساسية لكل مراحل التعليم التالية.

3- توفير فرص التعليم لكافة الأطفال في شرائح المجتمع المختلفة، ومدّ سن الإلزام، ومتابعة المتسربين من المدارس، ودراسة حالتهم وأسباب تسربهم، ووضع الحلول الفورية بالاستعانة بالأجهزة ذات العلاقة والمعنية بالطفل ومستقبله.

4- التخفيف من الازدحام الحاصل في الصفوف، فكلما كانت أعداد الأطفال التي يراها المعلم قليلة كلما تمكن من متابعتهم ومعرفة ظروفهم التفصيلية داخل وخارج المدرسة، وبالتالي قدرته على المعالجة بمساعدة المدرسة أو الأسرة أو أية جهة لها علاقة بالطفل.

(□) وجي ماكبرايد (1986): علم النفس يجرنا من الخوف. ت: عزيز المطليبي وصائب أمين، الموسوعة الصغيرة (261). إصدار وزارة الثقافة والإعلام. بغداد، ص 37.

5- فك الازدواج الحاصل في الأبنية المدرسية؛ لأن هذا الازدواج قد أضعف كثيراً العلاقة بين الطفل ومدرسته، والتربية الكاملة لا يمكن أن تتم بشكل صحيح إلا من خلال الدوام الطويل في المدرسة وإحساس الطفل الدائم بانتمائه للمدرسة.

6- تخصيص وقت كاف للأنشطة الصيفية والترفيهية والفعاليات الاجتماعية والرحلات المدرسية، ومحاولة زج أكبر عدد ممكن من التلاميذ في تفاصيل هذه الفعاليات؛ لتكوين روح الولاء للجماعة والمجتمع، ولكي يشعر التلميذ بأهمية دوره بين الآخرين.

7- تنشيط مجالس الآباء والمعلمين في المدارس، بحيث لا تكون إجراءاتها أو أعمالها شكلية، إنما يجب أن يكون هناك تواصل وتجاوز وتفاهم بين الطرفين، ومتابعة جدية للمسيرة الدراسية والسلوكية لكل تلميذ.

ثالثاً: الوقاية القانونية والإدارية:

1- مراقبة النوادي وأماكن المقامرة التي يرتادها الأحداث، وضبط الجانحين والمنحرفين منهم، واستدعاء أوليائهم وإيقاع العقوبات بحقهم، مع أخذ التعهدات التي تلزمهم بمراقبة أبنائهم ورعايتهم.

2- مراقبة الكتب والمطبوعات والنشرات التي تتضمن قصصاً إجرامية، أو تساعد على المضي في هذا السلوك، ومراقبة أفلام الفيديو والصور الجنسية الفاضحة، أو التي تسيء إلى الذوق والآداب العامة، وتستهدف إثارة الشهوات الجنسية وإيقاع أقصى العقوبات بحق المتعاملين فيها أو المتاجرين بها.

3- استخدام مقاييس واختبارات يمكن من خلالها التشخيص المبكر لمن لديه الاستعداد وللجنوح أو الانحراف السلوكي ليصار إلى وضع أساليب علاجية سليمة قبل تفاقم الحالة.

4- عدم تشغيل الأحداث الذين لم يكملوا الخامسة عشرة من العمر، وأن تكون الأعمال المناطة بالحدث غير مرهقة أو ضارة أو في الليل، مع تمتعه بفترات راحة مناسبة خلال العمل، وأن يصار إلى تشكيل لجان طبية واجتماعية تقرر أهليته للعمل، وتمتعه بصحة تتناسب مع العمل الذي يزاوله.

علاج الجنوح:

1- العلاج النفسي: ويتم بإحالة الجانح إلى الطبيب النفساني أو الباحث الاجتماعي أو المعالج النفسي؛ ليقوم كل منهم بدوره في تشخيص الحدث الجانح من خلال وسائل ومقاييس واختبارات وأجهزة معينة، فليس كل جانح يمتلك نفس الأعراض النفسية التي نلاحظها عند الجانح الآخر، فأسباب الجنوح النفسية - كما مرَّ ذكرها - كثيرة، ولكل حالة خصوصياتها وأسبابها، كما أن وسائل العلاج تختلف باختلاف كل حالة، وقد يستعين الطبيب النفساني بأطباء آخرين في مجال الأمراض العضوية؛ ليضع يده على مكنم الداء.

2- مراقبة السلوك: ويشترك في هذه المراقبة جهات عديدة؛ منها الوالدين أو الباحث الاجتماعي الذي يعمل في المؤسسات الإصلاحية، أو في مكاتب الخدمة الاجتماعية، وهذا بالطبع يجب أن يحصل في مرحلة الرعاية اللاحقة، أي بعد التشخيص، أو بعد خروج الجانح من المؤسسات الإصلاحية، كما أن الشرطة الإصلاحية يمكن أن تسهم في هذا المجال أيضًا من خلال متابعة سلوك الخارجين من مؤسسات الإيداع أو الإصلاحية، وإدامة الصلة بهم وبعوائلهم، ومساعدتهم في توفير فرص الدراسة أو العمل، أو في حل بعض المشكلات التي يواجهونها.

3- إبعاد الجانح عن بيئته وذويه، والغاية من ذلك انتشاله من الظروف التي دفعته للجنوح، لاسيما إذا كان هذا الحدث يعيش في بيئة موبوءة مردولة، وهناك تجارب عالمية كثيرة في هذا المجال تشير إلى أن عزل هذا الحدث يمكن أن يكون بإيداعه في دور أو معاهد أو مؤسسات رسمية أو غير رسمية؛ بقصد حمايته وتحصينه وانتشاله من بيئة المربضة السابقة، ففي فرنسا مثلاً هناك مراكز استقبال عائلية يديرها مربون ومرشدون مختصون؛ يستقبلون مثل هؤلاء الأفراد ويوفرون لهم الحياة الطبية الهادئة، بحيث يارسون دراستهم وهوياهم تحت إشرافهم.

وهناك معاهد الإيواء التي تتبنى المتشردين والمتسكعين والمتسولين، وتوفر لهم أيضا كل مستلزمات الحياة الكريمة، وهناك أيضا المدارس الإصلاحية التي تهيم

للجانح أيضا مستلزمات عيشه، فضلاً عن تأهيله اجتماعياً ومهنياً، بحيث يستطيع إذا ما غادر هذه الإصلاحية أن يؤمن لنفسه قوته ومستقبله من خلال المهنة التي تعلمها فيها.

4- العلاج الإرشادي والتربوي: وهذا العلاج يقوم به مرشدون تربويون واجتماعيون، ويكون أما بشكل فردي أو جماعي، أو بين الجانح وأسرته، وفي كل الأحوال فإن هذا الأسلوب يسعى إلى تصحيح علاقة الجانح بالمجتمع وتعديل مفهوم الذات لديه، وتقويم الاختلالات السلوكية في شخصيته وحل صراعاته، فضلاً عن توجيه الأسر إلى كيفية التعامل مع الأبناء، وتشخيص الأساليب التربوية الخاطئة، وتقديم المشورة التي تحتاجها الأسرة في هذا الجانب.

* * *